



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الإرسال في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة

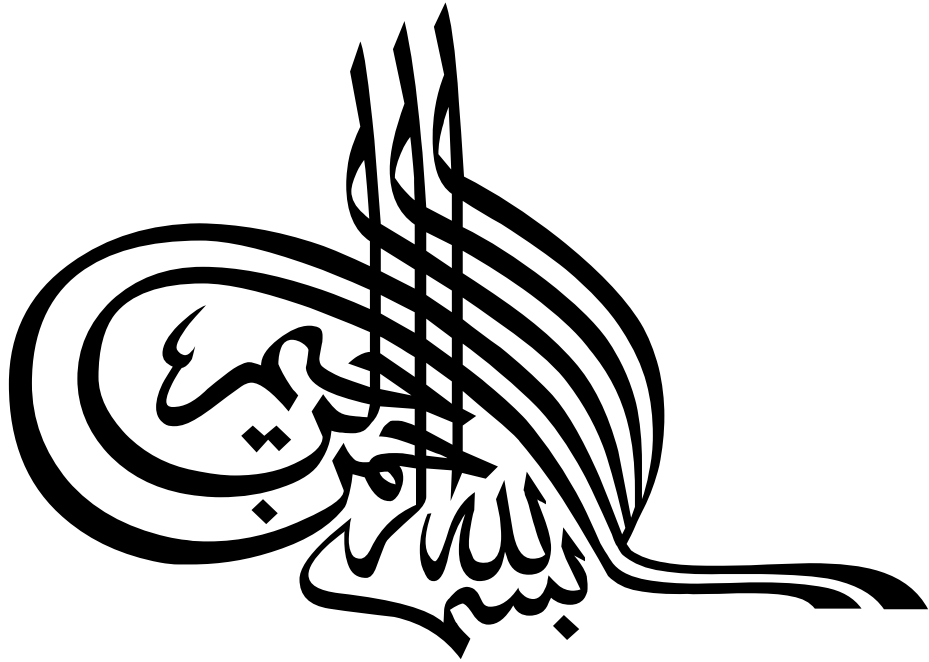
يسرى بنت عبد الفتاح أبو جاسر

إشراف

د. عصام بن العبد زهد

خطة بحث مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



قال تعالى :

[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى
إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]

{الأعراف: ٥٧}

الإهداء

إلى من أرجو من الله أن يسعدني بصحبته في
الآخرة رسول الله ﷺ.

* إلى والدي طيب الله ثراه ، وإلى والدتي الحبيبة التي
وقفت بجانبني وشجعتني على إكمال دراستي .

* إلى إخوتي الأحباء جزاهم الله خيراً على مؤازرتي .

* إلى المرابطين على أرض الإسراء والمعراج
وفي كل مكان .

* أهدي هذا الجهد المتواضع راجية من الله ﷻ أن
يجعل هذا الجهد لوجهه الكريم ، وأن يحقق ما فيه خير
الإسلام ، وخير المسلمين ، إنه - سبحانه - نعم
المولى ونعم النصير .

شكر وتقدير

آخرّ لله ساجدة ، شكراً و عرفاناً ، وحمداً وتمجيذاً وامتناناً ، أن هداني للإسلام وجعله لي نوراً ونبراساً ، فله كل المحامد على أن يسر لي الطريق لاتباع منهج السلف ، وله كل الشكر أن سلك بي مسلك طلاب العلم .
ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من له فضل عليّ بعد الله ﷻ ، وأبدأ بالشكر والتقدير العظيم لأستاذي الدكتور عصام العبد زهد ، الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي فأفادني المعلومات التي تتناسب مع البحث وتثريه ، والشكر موصول إلى الأستاذين الكريمين ، اللذين تكرما بقبول مناقشة هذا البحث :

حفظه الله

فضيلة الدكتور : رياض قاسم

حفظه الله

وفضيلة الدكتور : جمال الهوبي

فجزاهما الله خيراً ، وبارك الله في جهودهما .

والشكر الجزيل إلى الجامعة الإسلامية الغراء محضن العلم والعلماء ، وكلية أصول الدين قسم التفسير وعلومه ، والدراسات العليا فيها ، والهيئة التدريسية فيها من الأساتذة الكرام ، وكما أشكر الأعضاء العاملين في المكتبة المركزية ، وأخص بالذكر العاملين في قسم المراجع ، فبارك الله في الجميع .
ولا أنسى عظيم الشكر والتقدير لوالدتي العزيزة التي تحملت معي مشاق الدراسة وصولاً إلى إنجاز البحث العلمي ، وما خصتني به من دعائها ، فلها عليّ من الفضل العظيم ، ما لا يوفيه هذا السطر حقاً لها من الشكر ، فجزاها الله عني خيراً ، وأطال عمرها ، وبارك لها في عملها ، وأشكر ابنة أخي ياسمين .

كما أبعث بخالص الشكر والتقدير إلى الأخوات الفاضلات : علا أبو دير - مريم محسن - تحرير صالح - سماح أبو صلاح ، والشكر إلى كل من دعمني نفسياً ومعنوياً ، أو ساعدني بكتاب أو دعوة في ظهر الغيب .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] {ال عمران: ١٠٢} ، وقال تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] {النساء: ١} ، وقال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] {الأحزاب: ٧٠} .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

لقد منَّ الله علينا من بين الأمم بأن أكرمنا بخير نبي أرسل ، وهو محمد ﷺ ، وشرفنا بخير كتاب أنزل وهو القرآن الكريم ، فهو مصدر عزة المسلمين وكرامتهم ، فمن الجميل أن يفكر المسلمون عامة ، وطلاب العلم خاصة بهذا الكتاب العزيز بالبحث في آياته التي تبين فضل الله ﷻ في إرسال الرسل التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وتسخير الملائكة لنصرة الإنسان ، وإرسال رحمة الله ﷻ على عباده الصالحين ، وإرسال عذابه على الكافرين العصاة ، فكان لموضوع الإرسال أهمية كبيرة في القرآن الكريم ومن خلال التفكير والنظر والتأمل كانت ولادة هذا الموضوع والذي بعنوان :

(الإرسال في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية) .

أسأل الله أن يجعل التوفيق والسداد دربنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

- ١- الرغبة الإيمانية المخلصة في التبحر في كتاب الله ودراسة موضوع من موضوعاته دراسة تفسيرية موضوعية .
- ٢- افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة محكمة تتناول الموضوع من زاوية تفسيرية موضوعية .
- ٣- بيان رحمة الله ﷻ للعباد من خلال إرسال الرسل .
- ٤- بيان فضل الرسالات التي أرسلها الله ﷻ للإنسان .

٥- معرفة الأعمال الفاضلة التي تقوم بها الملائكة .

٦- إظهار نعم الله المختلفة التي يرسلها من السماء .

ثانياً : أهمية الموضوع :

تتبع أهمية هذا البحث في أنه يتناول موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، وهو الإرسال لا سيما أنه ورد فيه آيات كثيرة ، ولما لهذا الموضوع من أهمية في إثبات عالمية رسالة القرآن ، وبيان أهمية إرسال الرسل ، وإنزال الكتب السماوية والملائكة ، وإظهار نعم الله في الكون ، ولهذا ظهرت أهمية موضوع الإرسال في القرآن الكريم .

ثالثاً : أهداف الدراسة :

- ١- ابتغاء مرضاة الله ورضوانه .
- ٢- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث تفسيري تفتقر إليه .
- ٣- إظهار فضل الرسالة الخاتمة على سائر الرسالات ، وفضل النبي ﷺ على سائر الرسل .
- ٤- بيان نعم الله ﷻ على خلقه ، وذلك من خلال إرسال الرسل ، والملائكة ، والمطر ، والرياح ، وغيرها من النعم .
- ٥- إظهار سنة الله ﷻ ، ونقمته على الكافرين ، والمكذبين من خلال العذابات السماوية والأرضية ، المرسله من الله كالطوفان ، والرجز ، والحجارة ، وغيرها .

رابعاً : منهج الباحثة :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي ، والتحليلي في الدراسة ، وذلك من خلال الخطوات الآتية :

- ١- تتبع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية المتعلقة بالإرسال من قريب أو بعيد .
- ٢- عزو الآيات إلى سورها ، وذلك بذكر اسم السورة ، ورقم الآية التي وردت فيها بجانب الآية في المتن .
- ٣- استقراء كتب التفسير والحديث ، وأمّهات العقيدة بما تتحدث عن الإرسال .
- ٤- التركيز على جانب التفسير الموضوعي ، وربط الموضوعات المتعلقة بالإرسال مع بعضها البعض .
- ٥- ترجمة الأعلام المغمورة التي وردت في الرسالة .
- ٦- ترجيح ما احتاج إلى ترجيح من مسائل مع بيان الأدلة .
- ٧- الرجوع إلى المصادر الأصلية ، بالإضافة إلى الكتب الحديثة ، ومواقع الإنترنت ، والتزام الدقة في العزو والتوثيق .

- ٨- الاستدلال بالأحاديث الشريفة ذات الصلة بالموضوع ، والقيام بتخريجها .
- ٩- بيان معاني الكلمات الغريبة التي وردت في الرسالة .
- ١٠- توثيق ما ينقل من كلام العلماء ، وذلك بعزوه إلى مواضعه في مصنفاتهم إذا وجد
أو من الكتب المعتمدة التي تهتم بنقل آثارهم في الاعتقاد .
- ١١- توثيق المصادر والمراجع بذكر اسم الكتاب ، ثم المؤلف ، ثم التحقيق إن وجد ، ثم رقم
الجزء ، والصفحة ، ثم دار ومكان النشر ، ثم رقم الطبعة ، ثم تاريخ الطبعة .

خامساً : الدراسات السابقة :

بالتقصي والبحث والتحري ، لم أجد دراسة سابقة تناولت الإرسال ، إلا بعض الكتب التي تناولت بعض جوانب الموضوع من جانب ثقافي ككتب العقيدة ، لذا فالله أسأل أن تكون هذه الدراسة موفقة شاملة محكمة ، حيث جاءت بعنوان :

(الإرسال في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية) .

سادساً : خطة البحث :

تتكون خطة الرسالة من : تمهيد وأربعة فصول ، وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات وفهارس .

المقدمة :

وتشمل : أسباب اختيار البحث ، وأهميته ، وأهدافه ، والدراسات السابقة ، ومنهج الباحثة في عملها ، ثم هيكلية البحث .

التمهيد : وفيه : الإرسال بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية .

أولاً : تعريف الإرسال لغة .

ثانياً : تعريف الإرسال اصطلاحاً .

ثالثاً : الإرسال ومشتقاتها في السياق القرآني .

الفصل الأول

الرسول في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهمية إرسال الرسول .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحاجة البشرية إلى الرسول .

المطلب الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .

المطلب الثالث : وجوب الإيمان بالرسول .

المطلب الرابع : وظائف الرسل ومهامهم .

المبحث الثاني : صفات الرسل .

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : البشرية .

المطلب الثاني : الذكورة .

المطلب الثالث : الإخلاص .

المطلب الرابع : الصدق والأمانة .

المطلب الخامس : الصبر على البلاء والإيذاء .

المطلب السادس : التفاني في الدعوة إلى الله .

المبحث الثالث : أدلة صدق الرسل .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الرسالات .

المطلب الثاني : المعجزات .

المطلب الثالث : الحجج والأدلة والبراهين .

المطلب الرابع : استجابة الدعاء .

الفصل الثاني

إرسال الملائكة وصفاتهم ووظائفهم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إرسال الملائكة وصفاتهم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الملائكة .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .

المطلب الثالث : صفات الملائكة .

المبحث الثاني : وظائف الملائكة .

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : حمل عرش الرحمن .

المطلب الثاني : التسبيح بحمد الله وتعظيمه .

- المطلب الثالث : الملائكة سفراء الله إلى رسله .
- المطلب الرابع : القتال مع المؤمنين .
- المطلب الخامس : حضور مجالس العلم .
- المطلب السادس : كتابة الحسنات والسيئات .
- المطلب السابع : قبض الأرواح .
- المطلب الثامن : الحساب في القبر .

الفصل الثالث

إرسال الرحمة والعذاب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إرسال الرحمة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إرسال الرياح .

المطلب الثاني : إرسال المطر والغيث .

المبحث الثاني : إرسال العذاب .

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : إرسال الماء المنهمر .

المطلب الثاني : إرسال الرياح .

المطلب الثالث : إرسال الصاعقة .

المطلب الرابع : إرسال الطير الأبابيل .

المطلب الخامس : إرسال الرجز .

المطلب السادس : إرسال الحاصب .

المطلب السابع : إرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع .

الفصل الرابع

إرسال الخبر البشري ونماجه في القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الخبر وأهميته .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الخبر لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : أهمية إرسال الخبر في القرآن .

المبحث الثاني : نماذج من إرسال الخبر البشري .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إرسال فرعون .

المطلب الثاني : إرسال سليمان إلى بلقيس .

المطلب الثالث : إرسال بلقيس .

المطلب الرابع : إرسال امرأة العزيز .

الخاتمة :

وفيها أهم النتائج والتوصيات ، و خلاصة البحث .

الفهارس :

وتشتمل على :

١ - فهرس الآيات القرآنية .

٢ - فهرس الأحاديث النبوية .

٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم .

٤ - فهرس المراجع .

٥ - فهرس الموضوعات .

التمهيد

الإرسال بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: تعريف الإرسال لغة .

ثانياً: تعريف الإرسال اصطلاحاً.

ثالثاً: لفظ الإرسال ومشتقاته في السياق القرآني.

التمهيد

الإرسال بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

أولاً : الإرسال لغة :

"الإرسال بمعنى التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه" (١) .

"والإرسال مصدر أرسل إرسال بمعنى توجيه رسالة أو ما شابهه" (٢) .

فإذا بعثت رجلاً في مهمة فهو رسولك قال الله تعالى على لسان ملكة سبأ : [وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ] {النمل:٣٥} ، " وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه ، ومن قول العرب " جاءت الإبل رسلاً " أي متتابعة ، وعلى ذلك فالرسل إنما سماوا بذلك لأنهم وجهوا من قبل الله تعالى [ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى] {المؤمنون:٤٤}، وهم مبعوثون برسالة معينة مكلفون بحملها وتبليغها ومتابعتها (٣) ."

وقد يستعمل الإرسال بمعنى الإطلاق والإهمال ، كما في قوله تعالى : [يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا] {نوح:١١} أي ينزل عليكم المطر غزيراً متتابعاً ، وفيه إرسال الكلام إطلاقه بغير تقبيد .

وبمعنى الإهمال ، وهو إرسال الحديث بدون الإسناد بمثل أن يقول الراوي قال الرسول ، من غير أن يقول ، حدثنا فلان عن الرسول ﷺ أي عدم ذكر الصحابي (٤) ، وأيضاً يستخدم الإرسال بمعنى التسليط ، كما في قوله تعالى : [وَمَنْ يَعْمُرْ عَنَّ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] {الزخرف:٣٦} ، أي من يعرض عن القرآن نقيض له شيطاناً لا يفارقه ، والفرق بين إرسال الله رسله وإرسال الشياطين على أعدائه في قوله تعالى : [أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْوَاحًا] {مريم:٨٣} ، أي سلطنا الشياطين

(١) القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي ، ص ١٣٠٠ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ .

(٣) الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر ، ص ١٤ ، انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١١ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٤) انظر : الكلبيات ، لأبي البقاء الكوفي ، ص ٧٧ ، وانظر كتاب معاجم التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، ص ١٧ .

على الكافرين تغريمهم إغراء بالشر ، وإن إرسال الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادي ، وإرسالهم الشياطين تخيلته إياهم كما تقول كان لي طائر فأرسلته أي خليته وأطلقته (١) .

ثانياً : تعريف الإرسال شرعاً :

لقد بحثت في الكتب والمراجع التي هي مظنة التعريف الشرعي ، وذلك قدر جهدي واستطاعتي فلم أجد تعريفاً شرعياً للإرسال ، وإنني من خلال المعاني والتعريفات اللغوية السابقة اجتهدت في تعريف شرعي لكلمة الإرسال ، فأقول : هو كل ما يتعلق بإرسال رسول أو ملك أو رحمة أو عذاب أو غيرها من وجوه الإرسال ، وكل حسب ما يكلف به من قبل الله ﷻ ، أو هو إطلاق لكل ما يتم إرساله من رسول أو ملك أو مطر أو رحمة أو عذاب أو خير بالأمة ، حسب مراد الله ﷻ .

ثالثاً : الإرسال ومشتقاته في السياق القرآني :

ومرادي أن أحصي عدد الآيات التي ورد فيها الإرسال في السياق المكي والمدني لتتضح لنا الصورة التي نزلت فيها الآيات ، وأهم العظات والعبر التي تستنبط منها ، وقد وردت كلمة الإرسال ومشتقاتها في السياق القرآني أربعاً وستين (٢) .

م	الكلمة	العدد	عدد السورة	التكرار	النزول
١-	أَرْسَلَ	٧	٧	-	٤ مكية ، ٣ مدنية
٢-	أَرْسَلْتُ	١	١	-	١ مكية
٣-	أَرْسَلْتِ	٢	٢	-	٢ مكية
٤-	أَرْسَلْنَا	٥٦	٣٢	٢٦	٢٤ مكية ، ٨ مدنية
٥-	أَرْسَلْنَاكَ	١٣	١١	٢	٦ مكية ، ٥ مدنية
٦-	أَرْسَلْنَاهُ	٢	٢	-	٢ مكية
٧-	فَأَرْسَلُوا	١	١	-	١ مكية
٨-	أَرْسَلْتَهُ	١	١	-	١ مكية

(١) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١١ ، ص ٣٤١ .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص ١١٣ - ١١٨ .

م	الكلمة	العدد	عدد السورة	التكرار	النزول
٩-	نُرْسِلُ	٥	٤	١	٤ مكية
١٠-	لَنُرْسِلَنَّ	١	١	-	١ مكية
١١-	يُرْسِلُ	١٤	١٢	٢	١١ مكية ، ١ مدنية
١٢-	أَرْسِلُ	٦	٤	٢	٤ مكية
١٣-	أَرْسِلُهُ	٢	٢	-	٢ مكية
١٤-	فَأَرْسِلُونِ	١	١	-	١ مكية
١٥-	أَرْسِلَ	٤	٣	١	٣ مكية
١٦-	أَرْسِلْتُ	٣	٣	-	٣ مكية
١٧-	أَرْسِلْتُمْ	٤	٤	-	٤ مكية
١٨-	أَرْسِلْنَا	٣	٣	-	٣ مكية
١٩-	أَرْسِلُوا	١	١	-	١ مكية
٢٠-	يُرْسَلُ	١	١	-	١ مدنية
٢١-	رَسُولٌ	١١٦	٤٥	٧١	٢٣ مكية ، ٢٢ مدنية
٢٢-	الرَّسُولَ	١	١	-	١ مدنية
٢٣-	رَسُولًا	٢٣	١٥	٨	١٠ مكية ، ٥ مدنية
٢٤-	رَسُولَكُمْ	٢	٢	-	١ مكية ، ١ مدنية
٢٥-	رَسُولِنَا	٤	٢	٢	٢ مدنية
٢٦-	رَسُولُهُ	٨٤	١٨	٦٦	١ مكية ، ١٧ مدنية
٢٧-	رَسُولَهَا	١	١	-	١ مكية
٢٨-	رَسُولَهُمْ	٣	٣	-	٣ مكية
٢٩-	رَسُولِي	١	١	-	١ مدنية
٣٠-	رَسُولًا	١	١	-	١ مكية
٣١-	رُسُلٌ	٣٤	٢١	١٣	١٧ مكية ، ٤ مدنية
٣٢-	رُسُلًا	١٠	٨	٢	٤ مكية ، ٤ مدنية
٣٣-	رُسُلِكَ	١	١	-	١ مدنية
٣٤-	رُسُلِكُمْ	١	١	-	١ مكية
٣٥-	رُسُلَنَا	١٧	١١	٦	٨ مكية ، ٣ مدنية

م	الكلمة	العدد	عدد السورة	التكرار	النزول
٣٦-	رُسُلُهُ	١٧	٨	٩	٢ مكية ، ٦ مدنية
٣٧-	رُسُلُهُم	١٢	٨	٤	٦ مكية ، ٢ مدنية
٣٨-	رُسُلِي	٤	٤	-	٢ مكية ، ٢ مدنية
٣٩-	رِسَالَةٌ	١	١	-	١ مدنية
٤٠-	رِسَالَتُهُ	٢	٢	-	١ مكية ، ١ مدنية
٤١-	رِسَالَاتٍ	٥	٣	٢	٢ مكية ، ١ مدنية
٤٢-	رِسَالَاتِهِ	١	١	-	١ مكية
٤٣-	رِسَالَاتِي	١	١	-	١ مكية
٤٤-	مُرْسِلٍ	١	١	-	١ مكية
٤٥-	مُرْسِلُو	١	١	-	١ مكية
٤٦-	مُرْسِلِينَ	٢	٢	-	٢ مكية
٤٧-	مُرْسِلَةٌ	١	١	-	١ مكية
٤٨-	مُرْسِلٍ	١	١	-	١ مكية
٤٩-	مُرْسِلًا	١	١	-	١ مدنية
٥٠-	مُرْسِلُونَ	٩	٤	٥	٤ مكية
٥١-	مُرْسِلِينَ	٢٤	١١	١٣	١٠ مكية ، ١ مدنية
٥٢-	المُرْسَلَاتِ	١	١	-	١ مكية

ملاحظات :

- ١- من خلال الجدول الماضي يتضح أن لفظ الإرسال ومشتقاته ورد في الآيات المكية ثلاثمائة وخمسة وسبعين ، وفي الآيات المدنية خمسا وتسعين .
- ٢- يلاحظ من السياق المكي ومشتقاته أنه يهتم بشئون العقيدة وقواعد الإيمان ، ويعالج شبهات المشركين حول رسالة محمد ﷺ .
- ٣- يلاحظ أن السياق المدني يعتني بالجانب التشريعي الذي يعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية .
- ٤- يلاحظ من السياق المكي أن الإرسال ومشتقاته أكثر ما ورد في القصص القرآني ، التي كانت تسلية للرسول ﷺ وموعظة له في الاقتداء بإخوانه الأنبياء ، وأصحاب الرسالات

كما في قصة نوح في قوله تعالى : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] {المؤمنون:٢٣} .

٥- نلاحظ من السياق المكي في إرسال الرسل أن من سنن الله الانتقام ممن كذب أنبياءه ذلك بالتدرج معهم بالبأساء والضراء ، كما في قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ] {الأعراف:٩٤} .

٦- نلاحظ من السياق المكي أن الله أرسل الرسل إلى جميع الأمم : [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ] {النحل:٣٦} .

٧- نلاحظ من السياق المكي أيضاً أن سورة الأعراف هي أطول السور المكية ، وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء ، ومهمتها كمهمة السور المكية في تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير البعث والجزاء ، وتقرير الوحي والرسالة .

٨- نلاحظ من السياق المكي أنه يهتم بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة وطرح الأخلاق الذميمة .

٩- نلاحظ أن السياق المكي، فيه تصحيح عقيدة الألوهية، والإيمان بالرسالات وعقيدة البعث.

١٠- نلاحظ من السياق المكي إرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ورد شبهات الذين يزعمون أن الرسل لا يكونون من البشر ، وأن الرسالة تخضع لمقاييس الناس ومكانتهم .

١١- نلاحظ من السياق المدني أنه يتميز بطول آياته وكثرة سورته ، ذلك لأن الحديث عن الأحكام يحتاج إلى شرح وتفصيل .

١٢- نلاحظ من السياق المدني بيان أحكام الجهاد والقتال ، تمشياً مع طبيعة هذا الدين الذي جاء يحرر الناس من العبودية والحديث عن اليهود ، وتحذير المسلمين منهم وبيان صفاتهم ، وشدة عداوتهم للمؤمنين ، وحقدهم على الإسلام .

١٣- نلاحظ من خلال السياق المدني كثرة الحديث عن أهل الكتاب ، ودعوتهم إلى الحق ، ومناقشتهم في بعض ما حرفوه وبدلوه .

١٤- نلاحظ من السياق المكي الدعوة إلى التوحيد ، ومناقشة المنكرين له ، وإقامة الأدلة عليه (١) .

(١) انظر : إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .

الفصل الأول

الرسل في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : أهمية إرسال الرسل .
- المبحث الثاني : صفات الرسل .
- المبحث الثالث : أدلة صدق الرسل .

المبحث الأول

أهمية إرسال الرسل

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحاجة البشرية إلى الرسل .

المطلب الثاني : تعريف النبي والرسول

والفرق بينهما .

المطلب الثالث : وجوب الإيمان بالرسول .

المطلب الرابع : وظائف الرسل ومهامهم .

المبحث الأول

أهمية إرسال الرسل

المطلب الأول : الحاجة البشرية إلى الرسل .

من نعم الله تبارك وتعالى أنه لم يخلق الناس ويدعهم وشؤونهم ، إنما تكفل لهم ﷺ بما يصلح شؤونهم ، ويكفل لهم السعادة في دنياهم وآخرتهم ؛ لأن الإنسان مهما أوتي من علم ، وأودع الله فيه من عقل ، يسعى لتكميل النفس بالمعرفة ، وكمال النفس بالمعرفة من أعظم أنواع السعادات الإنسانية ، وإنما يتم ذلك بالتأمل والنظر السديدين اللذين يوصلانه إلى معرفة الله تعالى ، فمن عرف الله وعرف صفاته وأنه هو الخالق المنعم ، انتقل إلى مرحلة طلب السعادة ببلوغ كمال الخلق الإنساني ، وإنما يتم ذلك بتحقيق الأمور التالية :

١- الإيمان القلبي بالله تعالى وصفاته .

٢- الاعتراف اللساني لله بالربوبية والألوهية .

٣- الحمد لله والثناء عليه والشكر الله على نعمائه ، ذلك بعبادته حق العبادة وبطاعته في أوامره ونواهيه على وفق مراده ، فيحتاج الإنسان فيها إلى الرسل للفت نظره إلى الحق ، إذن فالرسل حاجة من حاجات البشر ، فلا سبيل إلى السعادة والفلاح إلا على أيدي الأنبياء والرسل ، ولا يحصل المسلم على رضا الله إلا على أيديهم ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة الجسم إلى الروح والعين إلى الضوء ، والروح إلى بقائها ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل تفوقها بكثير ، لقد بين كتاب الله ﷻ حاجة الناس إلى الرسل في عدة آيات كريمات فمنها ما يشير إلى فوائد الرسالة والتعريف بحقائق الدين ، وأحكام الشريعة ليقوم الناس بالعدل ، كقوله تعالى : [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] {الحديد:٢٥} ، ومنها ما يشير إلى أن الناس لو تركوا دون إرسال الرسل لاعتذروا عن كفرهم وفضلهم السيئات بأنهم لم يرشدوا إلى الحق ^(١) ، ولقد ميز الله ﷻ الإنسان بعقله عن سائر الكائنات ، وخاطب عقله ؛ لأنه أكمل ما فيه ، لكن العقل الذي خلقه الله لا يستطيع معرفة الأشياء الغيبية ، وما وراء عالم المحسوس ومعرفة العبادات وحدود الله وطريق الحلال والحرام ، وغرس الخير في

(١) انظر : وانظر مفتاح دار السعادة ، لابن قيم الجوزية ، ج ١ ، ص ٢٠ ، وانظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

النفس الإنسانية ، ونزع الشر منها ، لا يمكن للبشر أن يصلوا إليه بعقولهم ؛ لأن العقل البشري والفطرة الإنسانية لا يستطيعان معرفة هذه الأمور ، والكشف عن الحقائق الكبرى والحقيقة الإلهية لا يتم إلا عن طريق الاتصال بصفوة مختارة من الأنبياء والرسل ، فأرسال الرسل والأنبياء لا يغني عنه تطور العقل ، ولا تقدم العلم ، ولا يحل محلهم علماء المادة المكتشفون لأسرار الكون فإن تنمية الشعور الخلقى بالحقيقة الإلهية تكون بحاجة إلى الرسل ، ولقد منَّ الله علينا بإرسال الرسل ، فكانوا من أهم وأعظم نعم الله على خلقه خصوصاً سيدنا محمد ﷺ^(١) ، كما في قوله تعالى : [لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] [آل عمران:١٦٤] .

"لقد كرم الله الأمة الإسلامية بهذا الرسول ، وبهذه الرسالة الربانية العظيمة ، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وتتضاعف المنة بأن يكون هذا الرسول من أنفسهم ، وأن الصلة بين المؤمنين والرسول صلة النفس بالنفس ، لا صلة الفرد بالجنس ، فليست المسألة أنه واحد منهم وكفى إنما هو أعمق من ذلك وأرقى ، ثم إنهم بالإيمان يرتفعون إلى هذه الصلة بالرسول ، ممثلة في حاجة البشرية إلى إرسال الرسول ، ووصل أنفسهم بنفس الرسول ﷺ"^(٢) .

فلاحظ أن البدن والقلب بحاجة إلى علوم الرسل أعظم من حاجتهم إلى علم الطب لصلاح أبدانهم ، فحاجتهم إلى الشريعة أو المنهج الرباني أعظم لهم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم .

فالشريعة الإسلامية مبنية على رضا الله ، والابتعاد عن سخطه ، لذلك الإنسان بحاجة إلى الرسل لتبليغ ما في الشريعة ، فلاحظ عدم الطعام والماء والتنفس فيه موت البدن وتعطيل الروح ، أما العبد البعيد عن ما جاء به الرسل من الشريعة ففيه فساد الروح والقلب وهلاك الأبدان ، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت ، فصلاح الأبدان والقلوب ، لا يكون إلا باتباع ما جاء به الرسل من الشريعة الربانية ، فحاجتنا إلى الرسل أعظم وأهم من حاجتنا إلى الطعام والشراب^(٣) .

(١) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٣١ ، ٣٥ ، وانظر : كتاب العقيدة الإسلامية والعبادة ، محمد المبارك ، ص ٩٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ١ ، ص ٥٠٧ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية ، ج ١٠ ، ص ٩٣ ، ٩٧ ، وانظر : الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر ، ص ٣٤ .

كما قال الإمام ابن قيم الجوزية ^(١) : "فإن طب القلوب فمسلّم إلى الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - ولا سبيل إلى حفظه إلا من جهتهم ، وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها ، وفاطرها ، بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه ، متجنباً لمناهيه ومساخطه ، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك ، ولا سبيل إلى تلقّيه إلا من جهة الرسل ، ومن يظن حصول صحة القلب بدون اتباعهم ، فغلط من يظن ذلك" ^(٢) .

أسباب الحاجة إلى الرسل :

١- البشر بحاجة إلى رسل من عند الله معلمين ومرشدين لإخراج الناس من الظلمات إلى النور لقوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] {الأنبياء:١٠٧} ؛ لأن الناس لا يستطيعون أن يتوصلوا إلى جميع الفضائل الإنسانية والقيم الأخلاقية الرفيعة عن طريق عقولهم ، ولأن عوامل غرائزهم وشهواتهم وأهوائهم تبعدهم عن الحق والخير ؛ لذلك فهم بحاجة إلى رسل كي يصلوا إلى العقيدة الصحيحة التي يكون من ورائها السعادة في الدنيا والآخرة .

٢- إن كثيراً من الحقائق الغيبية التي لا غنى عنها لإصلاح الناس ، وتقويم سلوكهم في الحياة ، والتي يبلغها للناس الرسل المؤيدون من عند الله بالمعجزات ، لا يمكن للعقل البشري أن يتعرف عليها بنفسه بالوسائل الإنسانية العادية ، منها الدار الآخرة ، وعذاب القبر ، والجنة والنار وغير ذلك . لذلك كان لا بد من أن يتعرف الناس عليها عن طريق المتصلين بالوحي ، المطلعين على ما يطلعهم الله عليه مما في الغيوب ، وهؤلاء المتصلون بالوحي هم الرسل الذين اصطفاهم الله برسالاته ، ولذلك كان الناس بحاجة إلى رسل معلمين .

٣- إن الله أرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين لإقامة الحجة على الناس يوم القيامة ، فلو لم يرسل الله إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لكان لهم عذر وحجة عند ربهم في الآخرة عند محاسبتهم على كفرهم ومخالفاتهم منهج الله ﷻ بأنه لم يرسل إليهم الرسل ليدلوهم على

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ولد سنة ٦٥٨هـ ، كان أحد كبار العلماء ، تتلمذ على يد الشيخ ابن تيمية ، ألف تصانيف كثيرة ومنها مفتاح السعادة ، كتاب الفروسية وغير ذلك ، وتوفي سنة ٧٥١هـ . انظر : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب ، خير الدين الزركلي ، ج ٦ ، ص ٥٦ .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، ج ٤ ، ص ٧ .

الخير ، كما في قوله تعالى : [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] {النساء:١٦٥} . أي قطع الله حجة البشر بإرسال الرسل وأنزل الكتب التي فيها المنهج العادل الرباني .

٤- الناس بحاجة في إصلاح أفرادهم ومجتمعاتهم إلى مصلح مثالي يكون أسوة حسنة لهم ، وشخصية المصلح المثالي يجب أن تتوفر فيها : صفة القدوة الحسنة ، والعصمة عن الخطأ في المبادئ والأعمال والأخلاق التي يرشد إليها ويأمر بها ، ولو لم يكن ذلك لكان قدوة سيئة لهم ، ولا يمكن أن تتوفر هذه الصفات إلا في الرسول المعصوم ، المؤيد من عند الله بالمعجزات الباهرات ، ولذلك كان الناس بحاجة إلى قادة من رسل الله ، يتحلون بجميع الكمالات الإنسانية ، ويكونون الأسوة الحسنة لجميع الناس ، ولذلك أرسل الله الرسل المعصومين عن الخطأ في تبليغ الشريعة ، وعن المعصية في السلوك (١) .

المطلب الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

تعريف النبي لغة : مأخوذة من النبأ ، أي : المخبر عن الله ﷻ جمع أنبياء ، والنبأ هو الخبر العام الذي يترتب عليه أمور هامة وخطيرة ، قال تعالى : [عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ] {النبأ: ١-٢} ، وقوله تعالى : [وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ] (٢) {النمل: ٢٢} .

التعريف الشرعي :

النبي : " هو الذي ينبئه الله وهو بنبي بما أنبأ الله ، ويعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة ، فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي" (٣) .

النبي : "ذكر من بني آدم أوحى الله إليه بأمره ولم يؤمر بتبليغه" (٤) .

وفي معنى الاصطفاء بالنبوة نجد عدة آيات في القرآن الكريم :

فمنها قوله تعالى في وصف آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران : [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] {آل عمران: ٣٣-٣٤} .

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، م ، ٥ ، ص ٢٨٥٢ ، وانظر : العقيدة الإسلامية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٣٠٧-٣٠٩ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ، ص ٨٩٦ ، وانظر : مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ٦٤٢ .

(٣) كتاب النبوات ، لابن تيمية ، ص ٢٨١ .

(٤) الياقوت والمرجان ، عبد اللطيف بن خالد آل موسى ، ص ٢٠٤ .

ويأمر الله محمداً ، وكل داعٍ من بعده أن يحمد الله ، ويسلم على عباده الذي اصطفى ، ثم يعرض على المشركين أدلة وحدانية الله وكمال قدرته ، فيقول تعالى : [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ] {النمل: ٥٩} (١) .
تعريف الرسول لغة :

بمعنى المرسل ، الرسول جمع أرسل وأرسل ورسل ورسل ، والرسول والمرسل للمذكر والمؤنث والواحد ، والجمع في قوله تعالى : [إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (٢) {الشعراء: ١٦} .
التعريف الشرعي :

الرسول : " هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه " (٣) .
وفي معنى الاصطفاء بالرسالة نجد عدة آيات أيضاً :
يخاطب الله تعالى موسى ﷺ ، ويخبره بأنه قد اصطفاه على الناس برسالاته ، ويقص علينا ذلك ، قال تعالى : [قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ] {الأعراف: ١٤٤} .

وبين الله لنا اصطفاه الرسل من الملائكة ومن الناس : أما الرسل من الملائكة فيرسلهم للأنبياء من الناس ، وأما الرسل من الناس فيرسلهم إلى أممهم ، قال تعالى : [اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] {الحج: ٧٥} (٤) .
الفرق بين النبي والرسول :

اختلف العلماء في ذلك :

الرأي الأول : منهم من قال إنه يوجد فرق بين النبي والرسول ، فالنبي : " هو من بلغه الله بخبر السموات السبع وهو المبعوث لتقرير شرع من قبله ، دون أن يؤمر بتبليغ رسالته فهو نبي وليس رسولاً ، وتكون مهمة النبي إقرار بشرع من قبله والعمل والفتوى بشريعة رسول سابق له " (٥) .

كما في قوله تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ...] {البقرة: ٢٤٦} .

(١) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة ، ص ٢٦٧ .
(٢) انظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، ص ١٠١٦ ، وانظر : لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٣٣٩ .
(٣) العقيدة الإسلامية ، عبد الرحمن حبنكة ، ص ٢٩٨ .
(٤) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج ٤ ، ص ٢٠١١ .
(٥) أصول الدين ، أبي منصور التميمي البغدادي ، ص ١٥٤ ، انظر : تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، ص ٧١ ، ٧٢ .

أما الرسول : هو من أوحى إليه بشرع جديد ، وأمره الله أن يبلغ غيره ، فالنبي أخص من الرسول ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً^(١) .
قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] [المائدة:٦٧] .

"في هذه الآية يأمر الله رسوله محمداً ﷺ مخاطباً له بصفة الرسالة بإبلاغ جميع ما أنزل عليه ، أي يا أيها الرسول المرسل من عند ربه برسالة إلى الناس كافة بلغ ما أنزل إليك من ربك ، ولا تترك شيئاً مما أنزل إليك خوفاً من أن ينالك مكروه ، وقد امتثل (عليه أفضل الصلاة والسلام) بذلك وقام به أتم القيام"^(٢) .

ونستطيع أن نستنبط من النصوص القرآنية حول النبي والرسول ، الأمور التالية :

١- إن كلاً من النبوة والرسالة فيض إلهي ، واصطفاء رباني ، وأن أياً منهما لا يكون أمراً يكتسب اكتساباً بالاجتهاد ، ولا بالدراسة والبحث ، وهذا معنى الاصطفاء والاختيار .

٢- إن الله ﷻ قد يقتصر على الاصطفاء بالنبوة بالنسبة لبعض الأنبياء ، دون أن يأمرهم بتبليغ رسالته ، وهؤلاء ممكن أن نسميهم أنبياء لا رسلاً . وعلى هذا فتكون مهمة النبي الذي لم يؤمر بتبليغ رسالة : العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له ، ويدل على هذا : إذا نظرنا فيمن تحدث القرآن عنهم بأنهم أنبياء ، وجدنا بعضهم لم يؤمر بتبليغ رسالة إلى قومه ، قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَبَعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيكُمْ الْقِتَالَ أَلَّا تُقَاتِلُوا ...] [البقرة:٢٤٦] .

٣- إن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة ، فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا لمن تم اصطفاءه بالنبوة ، ويدل على ذلك نصوص عدة منها قوله تعالى : [وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ] [الرَّحْف:٦] ، وقوله في حق سيدنا محمد ﷺ : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا]^(٣) [الأحزاب:٤٥-٤٦] . فهاتان الآيتان تشيران إلى أن النبوة تكون متحققة أولاً ، ثم يأتي بعدها الإرسال ، ونستطيع من هذا أن نفهم أنه قد تمر على النبي فترة الاصطفاء بالوحي قبل أن يؤمر بالتبليغ ، وذلك

(١) انظر : الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه ، محمد الشرقاوي ص ٢٥١ ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ، ص ١٥٨ .

(٢) التفسير الكبير ، فخر الرازي ، ج ١١ ، ص ٤٨ .

(٣) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص(٢٩٩-٣٠١) .

كالفتره التي كانت للنبي محمد ﷺ بين بدء الوحي ، وبين أمر الله له بالتبليغ . كقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ] ^(١) {المدثر: ١-٢} .

٤- إن الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوة ، ويشهد لذلك وصف الله بهما معاً ، وفي هذا إشعار بتغاير مفهوميهما في الاصطلاح الشرعي ، ومن ذلك قوله تعالى : [وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] {مريم: ٥١} " فالنبوة داخله في الرسالة ، والرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً ، فالأنبياء أعم ، والنبوة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة " ^(٢) .

الرأي الثاني : ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكلمتين مترادفتان وأنهما ذاتا مدلول واحد ، فكل نبي يسمى رسولاً وكل رسول يسمى نبياً أي لا فرق بين الرسول والنبي ، يقول أصحاب هذا الرأي إن الأنبياء هم بشر اصطفاهم الله لحمل نبوته وتبليغ رسالته فهو أوحى إليهم من أمره ما يشاء ، ثم يقومون بإبلاغ ما أوحى إليهم من ربه ولا يكتفون الله حديثاً لقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] {المائدة: ٦٧} فكلهم ممن أوحى إليهم بشرع وأمروا بتبليغه ، وأيضاً قوله تعالى : [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيْسَ مَا يَشْتَرُونَ] {آل عمران: ١٨٧} ، إن الأنبياء هم الرسل ، مخرجهما في القرآن واحد ، فأحياناً يعبر عنهم باسم الأنبياء ، وهو الأكثر كقوله تعالى : [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] {البقرة: ١٣٦} ، فذكرهم في هذه الآية باسم النبيين ، ونهى عن التفريق بينهم ، وأحياناً عبر عنهم باسم الرسل ، كقوله تعالى : [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ٢٨٥} ^(٣) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ .

(٢) الإيمان ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ١٠ .

(٣) انظر : الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم ، الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ،

وترجح الباحثة ، من خلال البحث في هذا الموضوع ، أنه يوجد فرق بين النبي والرسول ، وأن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد ، أي الذي أنزل عليه الكتاب ، والنبي من لا كتاب له ، فهو مبعوث لتقرير شرع من كان قبله .

المطلب الثالث : وجوب الإيمان بالرسول .

يرتبط الإيمان بالرسول والإيمان بالله وبالكتب السماوية التي أنزلت على كل رسول منهم ، والإيمان بأحدهم لا بد وأن يتبعه الإيمان بالآخر دون تفريق بينهم ، فهي صفة عقيدة المسلم قال الله تعالى : [أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ٢٨٥} ، ثم إن الله ضمَّ الإيمان برسوله إلى الإيمان به ، وجعل الكفر بواحد منهم كفراً به - جل شأنه - وبهم جميعاً ، قال تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] {النساء: ١٥٠-١٥٢} . وهم يمثلون فترة زمنية متتابعة من تاريخ البشرية على الأرض ، وهذا ما يؤكد حديث رسول الله ﷺ قال : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون له هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١) .

الأنبياء أرسلهم الله ﷻ إلى الأمم في جميع العصور لينقذوا الناس ويخرجوهم من الضلالة إلى النور : [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...] {الكهف: ٥٦} . إن تركية النفس الإنسانية ، وغرس الخير فيها ونزع الشر منها لا يمكن للبشر أن يصلوا إليه بعقولهم ؛ وذلك لأن العقل البشري ، وكذلك الفطرة البشرية السوية ، لا يستطيعان معرفة الأمور الواجبة التي يريدتها الخالق من المخلوق كي يحقق العبودية لله ، فكانت الحاجة إلى الرسل لبيان أمور العقيدة وتفصيلها للناس ، وتعبيد الناس لرب العالمين .

ولقد كشف القرآن الكريم عن كثير من الأقوام الذين لم يؤمنوا بالرسول لكونهم بشراً من بينهم قال تعالى : [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ، رقمه (٣٥٣٤) .

رَسُولًا [الإسراء: ٩٤] وذلك لاعتقادهم أن الرسول لا بد أن تكون له طبيعة مخالفة للبشر ، ولكن القرآن رد عليهم وأكد أن الرسل بشر ، ولكن الله اختارهم واصطفاهم من بين الناس لقوله تعالى : [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...] ^(١) {الكهف: ١١٠} .

لذلك من الواجب علينا أن نؤمن أن جميع رسل الله رجال وبشر معصومون من الخطأ فيما نزل عليهم من الله تعالى ، ومن المعاصي ، قبل الرسالة وبعدها ، وأن الله اختار أنبياءه من صفوة البشر ورعاهم منذ الصغر كما في قوله تعالى : [وَأَنبَأَهُم عِنْدَنَا لَمَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ] {ص: ٤٧} ، فيجب على كل مكلف التصديق الجازم بأن الله ﷻ أرسل رسلاً مبشرين بثوابه ، ومنذرين بعقابه ، وأن الإيمان بهم أصل من أصول الدين من أجل به كفر ^(٢) .

إن أفضل الرسل على الإطلاق هو الرسول محمد ﷺ ، ولقد رفعه الله ﷻ درجات ، كما جاء في قوله تعالى : [وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ...] {النحل: ٨٩} .

"حيث يبين السياق شأن الرسول مع مشركي قريش يوم البعث ، أي يوم القيامة ، حيث يُحشر الخلائق للحساب ، ويُبعث في كل أمة نبي يشهد عليها بالإيمان أو الكفر" ^(٣) .

والإيمان برسول الله ﷺ فيه الفوز والنجاة ، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ : (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه ، إلا حرمه الله على النار) ^(٤) .

وقد تمثلت في شخصيته ﷺ كل الصفات الحميدة والخصال النبيلة ، ولقد وصفته السيدة عائشة - رضي الله عنها - : (كان خلقه القرآن) ^(٥) .

(١) انظر : الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٦ ، ٧٩ ، وانظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حنكة ، ص ٢٩٦ ، وانظر : العقائد الإسلامية ، السيد سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر : ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية ، حافظ بن أحمد آل حكيم ، ص ٤٩ .

(٢) انظر : العقيدة في صفحات لمن أراد الجنات ، أبو بكر بن الحنبلي ، ص ٥٧ ، وانظر : عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ١٤ ، ص ٢١٨٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، ج ١ ، ص ٣٨ رقمه (١٢٨) .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ، ج ٤١ ، ص ١٤٨ ، رقمه (٢٤٦٠١) ، صححه شعيب الأرنؤوط .

- إذن ، فالأنبياء والرسل لهم فضل كبير علينا ؛ حيث أخرجونا من الظلمات إلى النور ، فيجب علينا الإيمان بهم ، وأن نطيع أوامرهم في كل شيء .
- الآثار المترتبة على الإيمان بالرسل ، ونذكر منها ما يلي :
- ١- الاقتداء بالرسل ، إذ على المؤمن أن يقتدي بالرسل ، وخاصة محمد ﷺ ، فيجعل هدفه وسلوكه وتصرفاته كلها ربانية ، وذلك بأن يكون :
 - أ- صادقاً مع الناس في كل شيء حتى لا يفقد ثقتهم به .
 - ب- أن يكون صابراً لا يغضب لنفسه ، بل يكون دائماً قادراً على ضبط النفس وكظم الغيظ .
 - ٢- غرس محبة الرسل في نفوس المسلمين ، وأن نرغبهم في الاقتداء بهم ، والولاء لهم ، ونصرة دعوتهم ، والثبات على طريقهم .
 - ٣- وجوب الإيمان بجميع الرسل بدون تفریق ، فكلهم من عند الله اصطفاً لهم لأداء رسالة معينة ، كما في قوله تعالى : [اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] {الحج:٧٥} .
 - ٤- الاهتمام بتدريس السيرة النبوية ، وتوجيه الناس إلى حفظ الأحاديث النبوية ، حتى ينشئوا على الأخلاق والآداب الإسلامية .
 - ٥- الاهتمام إلى العلم الصحيح ، ما يزال هذا الإنسان راغباً في المعرفة حريصاً على العلم منه بعيداً عن إدراك الحواس وخارجاً عن حدود العقل ، فإن رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - يرون في هذا الإنسان هذا الظماً ويلبون تلك الرغبة .
 - ٦- الاهتمام إلى الهدف الحق من الحياة ، فالرسل كانوا - عليهم الصلاة والسلام - القدوة العظمى في التزام الطريق ، والحرص عليه ، والدعوة إليه دون مبالاة أو مخاوف تعرض يميناً ويساراً^(١) .

المطلب الرابع : وظائف الرسل ومهامهم .

لقد بينت لنا آيات القرآن الكريم والسنة النبوية مهمة الرسل ووظائفهم ، سنحاول

تفصيل ذلك فيما يلي :

أولاً : تبليغ الشريعة الربانية للناس :

إن أول وظيفة من وظائف رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - هي وظيفة تبليغ رسالات الله للناس ، دون تغيير أو تعديل أو كتمان أو زيادة أو نقصان ، والبلاغ يكون بتلاوة آيات الله من غير زيادة أو نقصان .

(١) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار، محمد الشريدة ، ص ١٥٧ ، ١٦٣ .

إن الرسل سفراء الله إلى عباده وحمله وحيه ، وقد دلنا القرآن الكريم على هذه الوظيفة في عدة آيات كريمات ، منها قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] [المائدة:٦٧] .

"وكان هذا خطاباً لسيدنا محمد - صلوات الله عليه - أي : يا محمد بلغ جميع ما أنزل إليك ولا تكن خائفاً أن ينالك مكروه ، وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فلم تبلغ إذا ما كلفت به من أداء الرسالة" (١) .

منها قوله تعالى في حق الرسل الذين خلوا من قبل سيدنا محمد - عليهم السلام :-
[الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا] [الأحزاب:٣٩] .
"في هذه الآية يمدح - تبارك وتعالى - رسله [الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ] ، أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه" أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا] أي وكفى بالله ناصرًا ومعيناً " (٢) .
إذن ، تبليغ الشريعة الربانية يحتاج إلى قوة وشجاعة وعدم الخشية من الناس في تبليغهم ما يخالف معتقداتهم (٣) .

ثانياً : الدعوة إلى الله :

دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار ، وهذه في الحقيقة هي الوظيفة الأساسية ، بل هي المهمة الكبرى التي بعث من أجلها الرسل الكرام .
وهي تعريف الخلق بالخالق ، والإيمان بوحدانيته ، وتخصيص العبادة له دون سواه كما قال الله ﷻ : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] (٤) [الأنبياء:٢٥] .

"فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والفطرة شهادة بذلك أيضاً ، والمشركون لا برهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم

(١) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج ٣ ، ص ١٤٥٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٠٠ .

(٣) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة ، ص ٣١٠ ، وانظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٤٣ .

(٤) انظر : النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني ، ص ٢٣ ، وانظر : العقائد الإسلامية ، سيد سابق ،

ص ١٧٨ .

عذاب شديد" (١) .

وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس إلى الله جهوداً عظيمة نرى ذلك في سورة نوح حيث بذل جهداً كبيراً على مدار تسعمائة وخمسين عاماً ، فقد دعاهم ليلاً ونهاراً ، وسراً وعلانية ، واستعمل أساليب الترغيب والترهيب ، وحاول أن يفتح عقولهم ، وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات ، ولكنهم أعرضوا وكذبوا وأصرُّوا على جودهم واستكبروا استكباراً (٢) ، قال تعالى : [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا] {نوح:٢١} ، أي أنهم بالغوا في تكذيب نوح وعصيان أمره ، واتبعوا أغنياءهم ورؤساءهم الذين أبطرتهم الأموال والأولاد ، فهلكوا وخسروا سعادة الدارين (٣) .

ثالثاً : التبشير والإنذار :

دعوة الرسل إلى الله ﷻ دائماً بالتبشير والإنذار ، فقد قصر القرآن مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في بعض آياته على التبشير والإنذار ، كما في قوله تعالى : [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...] {الكهف:٥٦} ، أي مبشرين لمن صدقهم وآمن بهم بالسعادة في الدنيا والآخرة ، منذرين لمن كذبهم وخالفهم بالعذاب الأليم .

وتبشير الرسل الناس وإنذارهم دنيوي وأخروي ، فهم في الحياة الدنيا يبشرون الطائعين الصادقين بالحياة الطيبة ، كما في قوله تعالى : [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {النحل:٩٧} ، ويخوف الرسل الكافرين العصاة بالشقاء في الدنيا والآخرة ويحذرونهم العذاب والهلاك ، كما في قوله تعالى : [فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ] {فصلت:١٣} .

وإنذار الكافرين بالعذاب في دار الشقاء ، كما في قوله تعالى : [وَأَصْحَابُ الشَّالِ مَا أَصْحَابُ الشَّالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ] {الواقعة:٤١-٤٥} .

وتبشير الطائعين بالجنة ونعيمها في دار النعيم ، كما قال الله تعالى : [... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ] {النساء:١٣} (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م ٩ ، ج ١٨ ، ص ١٩٨ .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٥٧١ .

(٤) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٤٧ .

رابعاً : تعاليم وتربية البشرية :

قال تعالى : [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] [الجمعة: ٢] .

وهكذا بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ ليعلم من كان معه من العرب الأميين وغيرهم ما ينلى من الآيات والسنة المطهرة ، فرسالته لم تقتصر على هؤلاء ، بل تعدتهم إلى العالمين ، قال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] {سبأ: ٢٨} .

كما يوضح الرسل - عليهم الصلاة والسلام - معاني النصوص القرآنية التي أنزلت على الناس ؛ لأن الرسل أعرف الناس بمراد الله ﷻ ، كما في قوله تعالى : [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] [النحل: ٤٤] (١) .

خامساً : قيادة الأمة وسياستها الدينية والدينية :

الذين يستجيبون للرسول يكونون جماعة واحدة ، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدير أمورهم ، والرسول يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم ، فالرسول في قومه قائدهم وزعيمهم ، ورئيسهم وحاكمهم ، وقاضيهم ومدير سياستهم الدينية والدينية ؛ ولذلك أمر الله أتباع كل رسول بطاعة رسوله ، وجعل طاعتهم للرسول جزءاً من طاعته - سبحانه - فقال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...] [النساء: ٦٤] ، وقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] [النساء: ٥٩] ، أما كون الرسول حاكماً وقاضياً في أمته ، فنشهد له نصوص كثيرة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى مخاطباً رسوله محمداً : [وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ] (٢) [المائدة: ٤٩] .

(١) انظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٢٢ ، ص ١٨٣ ، وانظر : صفوة التفسير ، محمد علي الصابوني ، ص ٣٧٨ .

(٢) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

سادساً : إقامة الحجة :

فمن رحمة الله - جل وعلا - إرسال الرسل ، وإنزال الكتب كي لا يبقى للناس على الله حجة بعد الرسل ، كما في قوله تعالى : [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] {النساء: ١٦٥} .

ولو لم يرسل الله إلى الناس مبشرين ومنذرين لجاؤوا يوم القيامة يحاجون عند الله - جل وعلا - ويقولون كيف تعذبنا وتدخلنا النار وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : [وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى] {طه: ١٣٤} .

قال ابن كثير : يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل : إنه لا يعذب قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى تكون قد قامت عليهم الحجة (١) .

لقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بأنه صاحب حجة قوية ومقنعة ، وهذه الحجة هي فضل من الله - سبحانه - آتاه خليله عليه السلام ، فقد أقام عليه السلام الحجة على قومه من الصنفين عبدة الأصنام وعبدة الكواكب ، فأما عبدة الأصنام فسألهم مستكراً من عبادتهم لأصنام لا تنفع ولا تضر ، فلم يردوا عليه بنفي أو إثبات ، ولما حطمها وسألهم عن نطقها سكتوا وسقط في أيديهم ، [قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] {الأنبياء: ٦٢-٦٧} .

أما عبدة الكواكب ، فرد عليهم بأن ما تعبدونه من الكواكب يغيب وكيف بإله يغيب ويأتي ، وبهذا أقام عليهم الحجة ، قال تعالى : [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] {الأنعام: ٨٣} .

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يشهد على كل أمة رسولها أنه بلغهم فإذا ما كذبوا تشهد عليهم أمة محمد ﷺ أنه بلغهم كما في قوله تعالى : [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ

(١) انظر : تفسير القرآن الكريم ، ابن كثير ، ج ٥ ، ص ٢٣٠٥ .

(٢) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٤٣-٥٢ .

الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا [{النساء: ٤١-٤٢} .

"ولذلك فإن الذين يرفضون اتباع الرسل ، ويعرضون عن الهدى لا يملكون إلا الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا ، وعندما يضجون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب تقول لهم خزنة النار كما في قوله تعالى : [قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ] " {غافر: ٥٠} (١) .

الخلاصة :

مما سبق يتضح أن آيات القرآن العظيم والسنة النبوية بينت لنا مهمة الرسل ووظائفهم ، وهي تبليغ الشريعة الربانية للناس ، وكانت أول وظيفة من وظائف رسول الله من غير تعديل أو كتمان أو زيادة أو نقصان .

وأيضاً ، كان من وظائفهم الدعوة إلى الله ، وهي المهمة الكبرى التي بعث من أجلها الرسل ، ومن وظائفهم التبشير والإنذار ، فقد قصر القرآن مهمة الرسل - عليهم السلام - في بعض آياته ، كما في قوله تعالى : [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...] {الكهف: ٥٦} ، ولو لم يرسل الله إلى الناس مبشرين ومنذرين لجاؤوا يوم القيامة يحتاجون الله - جل وعلا - فكان من رحمة الله - جل وعلا - إرسال الرسل ، وإنزال الكتب كي لا يبقى للناس على الله حجة بعد الرسل .

(١) الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

المبحث الثاني صفات الرسل

وفيه ستة مطالب :

- المطلب الأول : البشرية .
- المطلب الثاني : الذكورة .
- المطلب الثالث : الإخلاص .
- المطلب الرابع : الصدق والأمانة .
- المطلب الخامس : الصبر على البلاء والإيذاء .
- المطلب السادس : التفاني في الدعوة إلى الله .

المبحث الثاني

صفات الرسل

المطلب الأول : البشرية .

"شاءت حكمة الله العزيز القدير أن يكون الرسل الذين أرسلهم الله للناس كافة ، هم من البشر أنفسهم ، ومن هنا أكد القرآن الكريم في أكثر من آية على بشريتهم وأنهم برسالتهم لم يخرجوا عن طبيعتهم البشرية ، وإن كانت قد لحقتهم عصمة الله فيما يبلغون عنه ، وهي درجة اصطفاء واختيار ولا يرتفعون بها عن منزلة البشرية لقوله تعالى : [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا]" (١) {الكهف: ١١٠} .

"بشر يتلقى من ذلك الأفق الأسمى ، بشر لا يتجاوز الهدى الذي يتلقاه من مولاه ، بشر يتعلم فيعلم فيعلم" (٢) .

والذين يستعظمون ويستبعدون اصطفاء الله بعض البشر رسلاً إنما كانوا ينظرون إلى المظهر الخارجي للإنسان على أنه جسد يأكل ويشرب وينام ويسعى في الأرض لتلبية حاجاته ، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان كما في قوله تعالى : [وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا] {الفرقان: ٧} .

أما عند استعمالهم عقولهم من الآراء والأحكام والأفعال الشخصية فهم كغيرهم يصيبون فيها ويخطئون .

وقد عاتب الله رسوله محمداً ﷺ على بعض تصرفات عملها من تلقاء نفسه ، كما في قوله تعالى : [عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَا مَن اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى] {عبس: ١-١٠} .

نزلت في شأن إعراض النبي ﷺ عن أعمى فقير بإقباله على صناديد قريش والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ،

(١) مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي الحاج ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ١٢-١٨ ، ص ٢٢٩٧ .

واللذة والألم ، والحياة والموت ^(١) ، لقوله تعالى : [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ] {الأنبياء: ٨٣-٨٤} .

والرسل لا يتصرفون في الكون ، ولا يملكون النفع أو الضر ، ولا يؤثرون في إرادة الله ، ولا يعلمون من الغيب إلا القدر الذي أراده الله ﷻ ^(٢) لقوله تعالى : [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] {الأعراف: ١٨٨} .
رأي الباحثة :

إن إرادة الله في إرسال الرسل من البشر فيها حكمة ، فإرسال الرسل من البشر أقدر على القيادة والتوجيه ، وهم الذين يصلحون للقدوة والأسوة ، ولو بعث الله رسله من الملائكة لما أمكنهم ذلك .

المطلب الثاني : الذكورة .

إن جميع الرسل اصطفاهم من الرجال ، والأنبياء الذين أرسلوا إلى البشر للتبشير والإنذار والتعليم كانوا رجالاً من البشر ، ولم يكن فيهم أحد من الملائكة ، ولم يبعث الله رسولاً من النساء ، ويدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في الآية ^(٣) في قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] {الأنبياء: ٧}

المعنى : "لكي تدركوا صدق ذلك اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى ، وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة ، إنما كانوا بشراً رجالاً ، وذلك في تمام نعمة الله على خلقه" ^(٤) .

رأي الباحثة :

إن إرادة الله في إرسال الرسل والأنبياء من الرجال دون النساء فيها حكمة لأن المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات ،

(١) انظر : الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، ص ١٧٧ ، وانظر : تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، ص ٧٨ .

(٣) انظر : عصمة الأنبياء بين اليهود والمسيحية والإسلام ، محمود ماضي ، ص ١٣ ، وانظر : الوحي ودلالاته في القرآن الكريم ، سنار الأعرجي ، ص ١٦٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

كالحيض والولادة والنفاس ، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها ، إضافة إلى أن المرأة عورة فكيف ستعلم الرجال وتقف أمامهم وترشدهم وهم ينظرون إليها .

المطلب الثالث : الإخلاص .

الإخلاص حقيقة الدين ، وهو مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام ، وبه يرفع العمل ويقبل ، وبغيره - الشرك - يحبط العمل ، وكل العباد مأمورون بالإخلاص له وحده بالعبادة - جل وعلا - كما قال تعالى : [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ] {البينة:٥} ، وتحقيق الإخلاص يؤدي إلى الجنة ، والتهاون به يؤدي إلى النار .

أولاً : الإخلاص لغة : من صفا وزال عنه شوبه ، وخلص الشيء : صار خالصاً ، وخلصت إلى الشيء وصلت إليه . فأصل الكلمة يعود على الصفاء والنقاء والتهذيب ، والبعد عن الأخلاط والشوائب (١) .

ثانياً : الإخلاص اصطلاحاً : "تخليص القلب من شوب يكدر صفوه ، والمعنى : أن يفرد الله تعالى في الطاعة بالقصد ، فالإخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الإلهية" (٢) .

قال ابن القيم في معنى الإخلاص : "إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة" (٣) .
أعظم الناس إخلاصاً لله تعالى هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك أشار الله تعالى بإخلاصهم ، وأعظم في الثناء عليهم كما قال عن موسى عليه السلام : [وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] {مريم:٥١} ، وقوله عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : [قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] {البقرة:١٣٩} .
ففي دعوته إلى الله تعالى كان يتقانى في الإخلاص فلا يتوانى عنها ليلاً أو نهاراً ، وأيضاً عبادته لله تعالى ، كانت قائمة على كمال الإخلاص فيها لله المستحق للعبادة وحده ، كما شهد الله تعالى بذلك في قوله - جل ذكره - : [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] {الأنعام:١٦٢} (٤) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص ٢٠٨ ، ولسان العرب ، ج٤ ، ص ١٧٣ ، مادة خلص .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .

(٣) مدارج السالكين ، ابن القيم ، ج٢ ، ص ٩٥ .

(٤) انظر : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، أبو الحسن الندوي ، ص ٥٨ .

وأيضاً كما يقول الرسول ﷺ عند قيامه إلى الصلاة : (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (١) .
وقال عن يوسف عليه السلام : [... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] {يوسف: ٢٤} .

لقد كان يوسف - عليه الصلاة والسلام - مخلصاً في طاعة الله تعالى ومستخلصاً لرسالة الله تعالى (٢) .

لقد وصف الله خليله إبراهيم عليه السلام بالإخلاص ، قال تعالى : [وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ] {ص: ٤٥-٤٦} ، وهنا ذكره الله - سبحانه - بالعمل الصالح وقوته بالعبادة (٣) .

ولقد بينت الآيات في سورة البقرة شدة إخلاص نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وذلك حينما عرضت الآيات بناءه للبيت الحرام بأمر من الله سبحانه ، ويظهر ذلك جلياً في دعائه عليه السلام الله سبحانه أن يتقبل منه العمل ، وهو بناء البيت كما قال تعالى : [وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] {البقرة: ١٢٧} ، ففي الآية وصف للحال التي كان عليها هو وولده إسماعيل عليه السلام ، وهو الخوف من عدم القبول لعمليهما ، وهذا من قمة الإخلاص الذي كان عليه خليل الرحمن ، ومثله ما ذكره الله في كتابه عن إخلاص المؤمنين فقال : [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ] {المؤمنون: ٦٠} ، أي مهما فعلوا من صلاح الأعمال فلا يزالون في خوف أن لا يتقبل الله منهم ، وفي هذا إشعار بالاعتراف بالتقصير من العبد في حق الله ، وإن اجتهد في الطاعة .

وكان عليه السلام مخلصاً لله وحده متوجهاً إليه بكلية نحو التوحيد ، والإخلاص له - جل وعلا - وقد بين القرآن وجهته عليه السلام حينما ذكر مقولته بعد دعوته لعبدة الكواكب معلناً اتجاهه لله سبحانه فقال : [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ مُتَّبِعِينَ] {البقرة: ١٤٣} .

(١) أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، رقمه (٢٠١) .

(٢) انظر : الصفات الواجبة المستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، طه عبد الله العفيفي ص ١٣٢ .

(٣) انظر : تطهير الأنفاس من حديث الإخلاص ، سيد العفاني ، ص ١٣٨ .

المُشْرِكِينَ] {الأنعام:٧٩} ، أي أخلصت ديني لله سبحانه الذي خلق السموات والأرض بعيداً عن الشرك^(١)، ومن هذا يعرف أن من معاني الحنيفية الإخلاص .

إذن لا بد للمؤمن أن يحرص على الإخلاص في كل شأنه ، شأن كل الأنبياء عليهم السلام في إخلاصه ، فإن الإخلاص أساس العبادة ، والمرتكز عليها في قبول العمل أولاً ، على المؤمنين خاصة الدعاة إلى الله أن يجددوا نياتهم ، ويجعلوها لله خالصة ، حتى يفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة .

ثالثاً : منزلة الإخلاص من الأخلاق الإيمانية :

"يعد الإخلاص جوهر الأخلاق الإيمانية ونقطة دائرتها ؛ لأنه هو المميز لما يترتب على الأخلاق الحسنة من المدح والثواب وعظم المنزلة في الآخرة ، فما كان منها مراداً به وجه الله تعالى أثمر الثمرة النافعة .

ولهذه المكانة التي يتبوؤها هذا الخلق العظيم ، كانت عناية القرآن الكريم به كبيرة أمراً وترغيباً وثناءً على أهله ، مثل قوله تعالى : [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ] {الأعراف:٢٩} " ^(٢) .

المطلب الرابع : الصدق والأمانة .

أولاً : الصدق :

الصدق لغة : الصاد والادل والقاف أصلٌ يدلُّ على قوّة في الشيء قولاً وغيره . من ذلك الصدق خلاف الكذب ، سمي الصدق بذلك لقوته في نفسه ، ولأن الكذب لا قوة له ، يقال صدقوهم القتال ، وفي خلاف ذلك كذبوهم ، وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : الذي جاء بالصدق محمدٌ صلى الله عليه وآله والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه ورجل صدق نقيض رجل سوء ^(٣) .

الصدق في الاصطلاح : الصدق هو مطابقة الخبر للواقع بالقول أو الفعل ^(٤) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، برهان الدين البقاعي ج ٥ ، ص ٢٠٩ .

(٢) أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

(٤) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ص ١٩٤ ، ج ١٠ .

"قضى الله بحكمته أن يربي أنبياءه ورسله منذ الطفولة حتى يبلغوا درجة النبوة ، لا يشوب عقائدهم شائبة من الشر أو الإلحاد .

وأكرمهم الله تعالى بالرسالة ، فقد وهب لهم صفات أربعاً - متأصلة فيهم - وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة " (١) .

يجب الاعتقاد بصدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وبأنهم يستحيل عليهم الكذب استحالة عقلية وشرعية ، قال تعالى : [... وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...] [الأحزاب: ٢٢] ، وقال الله ﷻ في شأن افتراء الكفار على محمد ﷺ ، وقولهم إن القرآن من عنده لا من عند الله ، قال تعالى : [وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ] [الحاقة: ٤٤-٤٧] .

والمعنى : أن الله ﷻ يقول : لو قال محمد ﷺ على الله كلمة واحدة ، لم يقلها الله تعالى لقتله الله شر قتلة .

وحين حزن رسول الله ﷺ لتكذيب قومه له ، قال له الله تعالى : إن قومك لا يكذبونك في قول أو فعل لكنهم ينكرون ما جننهم به من عند الله تعالى ، قال تعالى : [... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ] [الأنعام: ٣٣] . ولقد اعترفت قريش بصدقه حينما صعد الصفا ليدعوهم إلى الإسلام ، وقال : "أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى ما جربنا عليك كذباً" (٢) ، (٣) .

وحدث النبي ﷺ المؤمنين على الصدق فقال رسول الله ﷺ : (إن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وأن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (٤) .

لقد وصف الله تعالى أنبياءه بالصدق على سبيل التعيين أو الإجمال كقوله عن إدريس عليه السلام : [... إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا] [مريم: ٥٦] ، وفي حق نبينا محمد ﷺ : [... وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...] [الأحزاب: ٢٢] ، وقوله عن إبراهيم عليه السلام : [وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا] [مريم: ٤١] ، وقوله عن يوسف عليه السلام : [يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ...] [يوسف: ٤٦] ،

(١) أركان الإيمان ، وهبي سليمان الألباني ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ ، ج ٣ ، ص ٣١٩ ، رقمه (٤٩٧٣) .

(٣) انظر : تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، ص ٨٨

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى ، ج ٤ ، ص ١٥٤٣ ، رقمه (٦٠٩٤) .

وقوله عن إسماعيل عليه السلام : [وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] {مریم: ٥٤} (١) .

"تأييد الله ﷻ لهم بالمعجزات التي يجريها على أيديهم كأنه تعالى يقول كما عرفنا صدق عبدي فيما بلغ عني "ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله ، وشهد الواقع لهم بذلك ؛ حيث إن ما أخبروا به من مغيبات مما أطلعهم الله تعالى عليه ، أو أنزله عليهم ليبلغوا عباده ، فما ظهر منها كان على وفق ما أخبروا به من إنجاز العذاب على المكذبين ، غلبة الروم على الفرس وفتح مكة وإقامة دين الله في أرضه ، وغير ذلك مما يدل على صدقهم" (٢) .

إذن فلو كان الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كاذبين ، لكان الكذب منصباً على المعجزات التي أتوا بها ، وما عهدنا عن رسول الله أنه كذب قط .
ثانياً : الأمانة :

الأمانة لغة : مصدر آمنه يأمنه أمانة ، إذا وثق به واطمأن إليه (٣) .
الأمانة اصطلاحاً : "الأمانة ضد الخيانة ، ويقال أيضاً بأنها صيانة الإنسان كل ما ينبغي صيانته من حقوق أو فروض أو واجبات أو حدود أو أشياء مادية أو معنوية ، سواء كانت لله تعالى أم للناس ، قال تعالى : [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] {الأحزاب: ٧٢} ، الأمانة التي تتحدث عنها الآية هي كل ما يؤتمن عليه المرء : من أمر ونهي ، شأن دين ودنيا" (٤) .

ثالثاً : الأمانة ودليل وجوبها للرسل :

الأمانة هي العصمة التي معناها أن الله تعالى قد حفظ ظواهرهم وبواطنهم من المعاصي كبيرها أو صغيرها ، وأشار إلى عصمتهم في البلاغ ، وأمانتهم في القول ، فقال تعالى : [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] {النجم: ٣، ٤} ، فما يقول الرسول قولاً عن هوى و غرض ، إنما يبلغ ما أنزل إليه من ربه كاملاً من غير زيادة ولا نقصان (٥) .

(١) انظر : أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ص ٩٩٨ ، ج ٢ .

(٢) الصفات الواجبة المستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، طه العفيفي ، ص ١٢١ .

(٣) انظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، ج ٤ ، ص ١٦٧ ، وانظر : مختار الصحاح، محمد الرازي ، ص ٢٦ .

(٤) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .

(٥) انظر : الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، طه العفيفي ، ص ١٢٢ .

وقال تعالى : [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] {آل عمران: ٣١} ، وقال تعالى : [... فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] {الأعراف: ١٥٨} .

معناه أنه لو جازت عليهم خيانة بفعل منهى عنه ما أمرنا الله تعالى باتباعهم ؛ لأن الله لا يأمر باتباع الخائنين .

وقد اشتهر النبي ﷺ بالأمانة ، حتى عرف بالصادق الأمين عند قومه ، وكانت سبباً في زواجه من خديجة ، وحرص على أدائها في أصعب الأوقات ؛ عندما ترك علي بن أبي طالب ﷺ في مكة بعد هجرته - عليه الصلاة والسلام - ليرد ودائع الناس التي كانت عنده ، فأقام علي بن أبي طالب ﷺ بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ (١) .

كذلك قال في حق اليهودي الذي أراد النبي ﷺ أن يشتري منه ثوبين إلى الميسرة ، فانتزها اليهودي فرصة لينال من جنبه العظيم عله أن يشفي ما في نفسه من الحقد الدفين والحسد الكمين ، وقال : (إنما يريد محمد أن يذهب بمالي ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : "كَذَبَ ؛ قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ ، وَأَدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ" (٢) .

هكذا كان النبي معروفاً بالأمانة لدى الناس كافة ممن عرفه ، أو سمع عنه ، فلقد ائتمنه الله تعالى على تبليغ شرعه وسياسة خلقه ، فقام بذلك حق قيام حتى رضي عنه وعن بلاغه المبين ، وشهد له بأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة كما وصلت إليه حتى تم الدين ، وذلك حين قال سبحانه : [... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...] {المائدة: ٣} (٣) .

إذن ، فالأنبياء والرسل هم أمناء الله في أرضه على شرائعه ودينه وكتبه .

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، وكتاب العقيدة الإسلامية والأخلاق ، محمد مصطفى ، ص ١٥٨ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب البيوع ، باب البيع إلى الأجل المعلوم ، ج ٤ ، ص ٤٢ ، رقمه (٦٢٢٤) ، حكمه صحيح .

(٣) انظر : أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

المطلب الخامس : الصبر على البلاء والإيذاء .

إن خلق الصبر تجلى بأبهى صورته في رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فلما صبروا على ما أودوا وتحملوا أعباء دعوتهم ، نجحوا في إيلاج أقوامهم ، وما من نبي إلا وقد كان موقفه من خلق الصبر مضرب المثل ، فنبينا محمد ﷺ أكثر رسل الله تعالى دعوة وبلاغاً وجهاداً ، وكان أكثرهم ابتلاءً وإيذاءً وأعداءً منذ ظهور فجر دعوته إلى أن لحق بربه - جل وعلا - .

"أما صبره في دعوته إلى الله ، فقد كان منذ بدء الدعوة إلى الله تعالى ، ما كاد الخبير يشاع عند قومه من أنه يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان ، حتى نصبوا له العداة ، فرموه بكل ما قدروا أن يرموه به من السحر والكهانة والشعر والجنون ، وغير ذلك مما درجوا على التفوه به زوراً وبهتاناً ، وهو البراء من ذلك كله ، وكان مع ذلك صابراً محتسباً" (١) .

فقد أخرج البخاري - رحمه الله تعالى - حديث عروة بن الزبير - رحمه الله - (٢) قال : سألت ابن عمر بن العاص رضي الله عنهما فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط - لعنه الله - فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ، قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله" (٣) .

أما صبره - عليه الصلاة والسلام - على المشركين في العهد المدني فلم يكن كصبره عليهم في العهد المكي ، فإن صبره عليهم في هذا العهد كان صبراً في ميادين القتال والمنازلة ، صبراً على الرماح والسيوف كصبر أولي العزم .

ولكن النبي ﷺ لم ينفد صبره ، ولم ينته عزمه وهو يخوض معركة بعد أخرى حتى آتاه الله الفتح المبين .

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ص ٤٤٠ .

(٢) ابن العوام بن خويلد الأسدي ، التابعي الجليل ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، أخذ العلم عن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وخالته عائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ومات سنة ٩٤ هـ ، طبقات ابن سعد ١٣٦/٥ .

(٣) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، ج ٢ ، ص ٩٣٨ ، رقمه (٣٨٥٦) .

وقد ناله من ذلك أذى كثيراً ، حيث كسرت رباعيته وشج وجهه الشريف في غزوة أحد ، وأثخنه الجراح وهو مع ذلك صابر محتسب (١) .

أما اليهود فقد كان صبر النبي ﷺ عليهم شديداً إذ إنهم أهل خديعة ومكر وحقد دفين ، فإنهم لم يكتفوا بكم صفاته التي يجدونها في التوراة والتي يعرفونه بها كما يعرفون أبناءهم ، بل إنهم غيروا صفاته - عليه الصلاة والسلام - وجحدوا نبوته ، والنبي صابر على معاملتهم وعلى خيانتهم .

إذن : إن المكر والخديعة ونقض العهود صفات متأصلة في اليهود منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا .

"وكان الرسول ﷺ والذين معه يخرجون من كل ضائقة ومحنة وابتلاء ثابتين صابرين؛ لأنهم قد تهيأت نفوسهم لهذا ، فقد هيأهم القرآن لهذا بذكر قصص الأنبياء والمرسلين وصبرهم وثباتهم ، ثم نصرهم بعد ذلك ، قال تعالى : [وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ] {البقرة: ١٥٥، ١٥٦} " (٢) .

وصبر نوح عليه السلام على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً فأهلكهم الله بالطوفان ، وأيضاً صبر عيسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين لم يكتفوا بتكذيب دعوته ، بل تأمروا على قتله ، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من القتل ، فقد رفعه الله إليه ، وألقى شبهه على رجل آخر ، وصبر يوسف على كيد إخوانه ، وعلى سجن عزيز مصر ومكر زوجته (٣) .

إذن : الصبر صفة متأصلة في الأنبياء والرسل يجب الاقتداء بهم ، فالصبر دين المسلم ، سواء صبر على نفسه في مرض ، أو فقر ، أو صبره على عدوه فهو يلزم الصبر حتى ينصره الله ، فلا يشتكي لأحد ، بل يهرع إلى الله بالدعاء ، لقوله تعالى : [... وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ...] [آل عمران: ١٢٠] ، حيث قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : "ويرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم" (٤) .

(١) انظر : السيرة النبوية ، دروس وعبر ، مصطفى السباعي ، ص ٧١ .

(٢) أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ص ٤٣٩ .

(٣) انظر : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ، أبو الحسن الندوي ، ص ٨٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ٥٧٩ .

إذن ، فالصبر والتقوى والتوكل صفات للرسول والأنبياء ، ووضح القرطبي أن الصبر والتقوى شرط لنفي الضر عن المسلمين ، وفيه تسليية وتقوية لهم (١) .

المطلب السادس : التفاني في الدعوة إلى الله .

لا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وإبلاغه ، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم ، والاستجابة لها ، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً ، فكل الرسل في ذلك ينطلقون من منطلق واحد ، فهم يقولون للناس أنتم عباد الله ، والله ربكم وإلهكم ، يظهر ذلك في قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] {الأنبياء: ٢٥} (٢) .

وكان كل رسول يقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى كما أمره الله تعالى ، وأراده منه حتى يؤمنوا به أو يهلكهم الله تعالى على كفرهم وعنادهم إذا أصروا عليه ، ولقد قص القرآن الكريم من نبأ دعوتهم لأقوامهم والتفاني في الدعوة وبذل التضحيات ، وتحمل المشاق التي واجهتهم من أقوامهم ، فصبروا على ما أودوا ، أما تفاني وتضحية الرسول بجسده في سبيل دعوته إلى الله فهي فرع من صبره وعزيمته .

وقد تبينت دلائل ذلك من مواقفه العظيمة في الصبر والثبات وعدم التأثر بمحاولات صد الدعوة ، فقد تعرض رسول الله ﷺ لكل أصناف الإيذاء في جسده الشريف من الضرب والرَّمي بالحجارة وبالسهام ، فلم يبال بكل ذلك ، ولم تنته هذه الإيذاعات عن الدعوة إلى الله تعالى ، لعلمه بأن ذلك سنة المرسلين قبله ، فله بهم تأس لقوله تعالى : [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...] {الأحقاف: ٣٥} ، ولا يزيده مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلاً ، وحقق الله تعالى له مراده من إقامة دين الله على أرضه وإقامة العدل بين عباده (٣) .

إذن : إن على المؤمن الاقتداء بالرسول والتفاني بالدعوة إلى الله ﷻ والاستمرار عليها ، وعدم اليأس والثبات رغم رفض المدعويين ، فالداعية في كل زمان ومكان يجب عليه الاستمرار في الدعوة وإنكار المنكر ولو بأضعف الطرق ، كما قال رسولنا : (من رأي منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

(٢) انظر : الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر ، ص ٤٥ .

(٣) انظر : أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد الحداد ، ص ١٠٧ ، ج ٣ .

الإيمان^(١) ، بل أثنى الله ﷺ على الفئة الداعية ومدحها بقوله : [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] [آل عمران: ١١٠] .

"يخبر الله ﷺ عن الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم في الوجود ؛ ما دامت تأمر بالمعروف وتنتهي عن المنكر وتؤمن بالله إيماناً صحيحاً صادقاً كاملاً ، وإنما قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان ؛ لأنهما أدل على بيان فضل المسلمين على غيرهم ، ولأن الإيمان يدعيه غيرهم ، وتظل الخيرية والفضيلة لهذه الأمة ما دامت تؤمن بالله حق الإيمان وتأمر بالمعروف وتنتهي عن المنكر" ^(٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، ج ١ ، ص ٦٩ ، رقمه (٧٨) .
(٢) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٤ ، ص ٤٠ .

المبحث الثالث أدلة صدق الرسل

- وفيه أربعة مطالب :
- المطلب الأول : الرسائل .
 - المطلب الثاني : المعجزات .
 - المطلب الثالث : الحجج والأدلة والبراهين .
 - المطلب الرابع : استجابة الدعاء .

المبحث الثالث

أدلة صدق الرسل

المطلب الأول : الرسائل .

"إن من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله على رسله ، وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان ، إلا أن الله لم يكلف الناس أن يؤمنوا بما فيها تفصيلاً ؛ لأن هذه الرسائل جميعها واحدة من حيث العقيدة ، لكنها تختلف في الشريعة والدستور وفقاً للظروف التي نزلت فيها ، والكتاب شرعاً : كلام من الله تعالى وفيه هدى ونور ، يوحي الله به إلى رسول من رسله ليبلغه إلى الناس" (١) .

"أي فيما أعلمنا الله به تفصيلاً كالكتب التي ذكرها وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى ، والقرآن المنزل على محمد ﷺ وكتكليم الله لموسى ، وإيحاء الله إلى صالح وهود وشعيب ، ووحي الله إلى رسوله محمد ﷺ ، تؤمن به تفصيلاً كما أخبر الله تعالى ، ونؤمن بأن هناك كتباً ووحياً غير ذلك لم يعلمنا الله ﷻ بها" (٢) .

والمتعلم مطالب بأن يؤمن بجميع ما أنزل الله من رسالات ، لقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] {النساء: ١٣٦} .

وقد أتى الله على صدق رسله الذين يبلغون رسالاته ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، قال تعالى : [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا] {الأحزاب: ٣٩} ، وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله ، وعدم التصديق ، انظر إلى موقف صالح بعد أن حل الهلاك بقومه : [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] {الأعراف: ٧٩} .

وموقف شعيب بعد هلاك قومه: [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ] {الأعراف: ٩٣} .

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ٥٣٧ ، عبد الرحمن حبنكة .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ١ ، ص ٥٧٩ ، والرسائل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٢٣٠ .

فأنزل الله تعالى القرآن الكريم ، ليُبيِّن ما فيها من حق ، ويبيِّن ما طرأ عليها من تحريف ، وأن يحكم بين الناس جميعاً بالقرآن وهو الذي احتوى كل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، ويربي على الاستقامة والأخلاق القويمة" ، لقوله تعالى : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] ^(١) {الإسراء:٩} ، وفي هذا الصدد ذكر الإمام الرازي أن "القرآن شفاء من الأمراض الروحانية كالاتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة ؛ حيث إنه يشمل كل الدلائل الكاشفة عما في هذه الاعتقادات من العيوب الباطنة ، وهو يرشد إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال المحمودة فكان بذلك فيه الشفاء " (٢) .

الرسالات السماوية المتقدمة تضمنت ذكر هذا القرآن ومدحه والإخبار بأن الله سينزله على رسوله محمد ﷺ ، فكان نزوله على الصفة التي أخبرت بها الكتب السابقة تصديقاً لتلك الكتب مما زادها صدقاً عند حاملها من نوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسول الله ، قال تعالى : [قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا] {الإسراء:١٠٧، ١٠٨} .

ولقد أمر الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - وأمته بأن يؤمنوا بالرسالات السماوية على اختلاف نزولها على الأنبياء دون تفريق بين الأنبياء كما قال جل وعلا : [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] {البقرة:١٣٦} ، [قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] {آل عمران:٨٤} ، ففي الآيتين دعوة وإرشاد للمؤمنين أن يحدوا عن منهج اليهود والنصارى المخالف للإسلام ، فلا يسمعوا لندائهم ، ولكن عليهم أن يؤمنوا بالله وحده ، وكذا ما أنزل إليهم بواسطة النبي ﷺ مفصلاً ، وما أنزل على الأنبياء من قبله مجملاً ، وما يتبع كذلك من إيمان بالرسول ، وفي هذا إيمان بهم دون تفريق بينهم كما تزعم اليهود والنصارى (٣) .

(١) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) تفسير الرازي ، ج ٢١ ، ص ٣٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٦١٨ ، وتفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

ومن أنكر شيئاً مما أنزله الله فقد خرج عن طريق الهدى ، فهو كافر لقوله تعالى :
[... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] {النساء: ١٣٦} .

المطلب الثاني : المعجزات .

المعجزة دليل من الله - سبحانه - يقرنها بأنبيائه ، لتكون دليلاً على نبوتهم ، وتقويم الحجة على الأقوام التي بعث الله أنبياءه إليهم ، وقد ذكر الله لنا خبر الأمم السابقة والبيئات التي آتتهم ، وردت هذه البيئات في وجوه أنبيائهم وظلمهم لأنفسهم ، قال تعالى : [أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] {التوبة: ٧٠} ، والبيئات في الآية المعجزات الواضحات (١) .

المعجزة لغة : "مأخوذة من العجز عَجَزَ فلانٌ عن الشيء عَجْزاً عجزاً : ضعف ولم يقدر عليه فهو عاجز ، عجزت المرأة عجوزاً ، أي كبرت وأسنت ، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور ، قال تعالى : [قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ] {هود: ٧٢} ، العجز أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر " (٢) .

المعجزة اصطلاحاً : "المعجزة أمر خارق يعجز البشر عن أن يأتوا بمثله" (٣) أو "هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييداً لنبوته" (٤) .

شروط المعجزة :

١. أن تكون المعجزة خارقة للعادة غير ما اعتاد الناس من سبق الكون والظواهر الطبيعية .
٢. أن تكون المعجزة مقرونة بالتحدي للمكذابين أو الشاكين .
٣. أن تكون المعجزة سالمة عن المعارضة ، فمتى أمكن أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله ، بطل أن يكون معجزة .
٤. أن تكون المعجزة فعلاً لله تبارك وتعالى ؛ ذلكم لأن المعجزة تصديق للرسول الذي أرسله الله ، فلا بد أن تكون المعجزة آية من آيات الله .
٥. أن يكون موافقاً لما ادعاه النبي ، فلو قال: معجزتي إحياء الموتى ، ولكن الذي حصل على يديه نطق الحجر مثلاً لم تكن معجزة .

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، برهان الدين البقاعي ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) المعجم الوجيز ، ص ٤٠٦ ، وانظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة ، ص ٥٨٥ .

(٣) المنجد في اللغة والإعلام ، ص ٧٧٥ .

(٤) المعجم الوجيز ، ص ٤٠٧ ، وانظر : تفسير آيات العقيدة ، عبد العزيز حاجي ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

٦. أن تكون المعجزة بعد ادعاء النبوة ، أما إذا كانت قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة ، وإنما يسمى ذلك إرهاباً مثال ذلك كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهدي (١) .

إذن من هذه الشروط ندرك أن المعجزة تفتقر كثيراً عن كل ما يراه الناس غريباً عما ألفوه وعرفوه كالسحر والكرامات ، والمخترعات الغربية .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

"المعجزة أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة ، أما الكرامة ففعل الله سبحانه يكرم به من يشاء من عباده الصالحين ، وذلك مثل ما أكرم الله به مريم - رضي الله عنها - قال تعالى : [كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] " {آل عمران:٣٧} (٢) .

خلق الله هذا الكون وجعل فيه ما جعل من ملك وإنسان وجن وحيوان ونبات وجماد ، لا يعجزه أن يظهر الأمور الخارقة للعادة والخارجة عنها على يد المرسلين المصطفين من عباده ، لكن بعضاً من الذين غشيت أعينهم وغلفت قلوبهم ، وصمّت آذانهم ، لا يرون في الخلق عظمة وحكمة ويجهلون قدرة الله وعظمته ؛ لذا يرون فيما يخرج عن عادتهم من شفاء المريض بدعوة عيسى عليه السلام ، أو خلق بضربة موسى عليه السلام ، أو نبع الماء بين أصابع نبينا محمد عليه السلام ، يرون في ذلك مخالفة للعقل واستحالة في الواقع ، وما هي في حقيقة الأمر إلا أمور خارقة للعادة .

إن النبوة لا تثبت إلا بما ذكره من المعجزات ، ومن أعظم دلائل صدق الرسل المعجزات ، منها : الإسراء والمعراج ، وهو إسراء الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي برك حوله ، حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إماماً ، كما قال تعالى : [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] {الإسراء:١} ، من هنا عرج به إلى السموات العلا ، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى ، رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ، وصعد به إلى سدرة المنتهى ، قال تعالى : [أَفْتَاهُ وَنُهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى] {النجم:١٢-١٨} ، وقد استعظمت قريش ادعاء رسول الله ، فقد كانت القوافل تمضي

(١) انظر : إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، ص ٩١ .

الأسابيع في الذهاب لبيت المقدس ، فكيف يتسنى لرجل أن يمضي ويعود في جزء من ليلة ، ولكن العجب يتلاشى إذا علمنا أن الذي أسرى به هو الله تعالى ، والله على كل شيء قدير (١) .

انشقاق القمر : من المعجزات الخارقة التي أيد الله بها محمداً ﷺ حين سألته قريش أن يريهم آية تدل على صدقه فأراهم انشقاق القمر ، قالوا هذا سحر منه ﷺ ، إلا بعض القوم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفر فإن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فلما سألوا من قدم عليهم من المسافرين أجابوهم بروية القمر وقد انشق إلى نصفين ، وقد أثبت القرآن هذه المعجزة (٢) في قوله تعالى : [أَفَتَرَبَّ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ] {القمر:٢،١} ، كما جاء في الحديث الصحيح من ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك قال : "إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر (٣) " .

وقص علينا القرآن الكريم كثيراً من معجزات الأنبياء السابقين التي تحدوا بها أقوامهم ، أثبتوا بها رسالتهم .

إن من حكمة الله تعالى البالغة أنه يؤيد رسله بمعجزات من نوع فاق وأبدع فيه القوم المرسل إليهم ، لأن الرسول لو جاء بمعجزة من نوع يجهلونه وطالبهم أن يأتوا بمثلها لكان لهم أن يقولوا : إن هذا شيء نجهله ، ولو علمناه لعارضناه ، فمثلاً عندما أرسل الله تعالى سيدنا موسى ﷺ كان السحر شائعاً في قوم فرعون ، فلما سحر السحرة أعين الناس ، وصارت ترى حيات تسعى ، ألقى سيدنا موسى ﷺ عصاه بأمر الله تعالى فقلبها الله ثعباناً عظيماً فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ، ثم لما أخذها بيده عادت عصاً بإذن ربه كما كانت ، فخر السحرة لله ساجدين وأمنوا برسالة موسى ، وصبروا على التعذيب .

أيضاً لما بعث الله سيدنا عيسى ﷺ كان فن الطب شائعاً في بني إسرائيل ، فكان من حكمته تعالى أن جعل كثيراً من معجزاته ﷺ من قبيل أعمال أهل الطب ، فأبرأ الله على يديه الأبرص والأكمه وأحيا الموتى ؛ حيث إن عيسى قد أتى بهذه الخوارق التي لا يستطيعها حذّاق الأطباء فإن ذلك دليل على صدق دعواه في الرسالة .

(١) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ١٣٤ .

(٢) انظر : دلائل النبوة ، إسماعيل الأصبهاني ، ص ٣٢ ، وانظر : السيرة النبوية والمعجزات ، محمد كنعان ، ص ٤٦١ ، وانظر : خير القلائد شرح جواهر العقائد ، عثمان العرياني ، ص ١٣٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم القمر ، ج ٢ ، ص ٨٨٩ ، رقمه (٣٦٣٧) .

وأيضاً معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما حطم آلهة قومه التي كانوا يعبدونها ، فأشعلوا له النار ، ورموه فيها ، فأمر الله - جل وعلا - النار ألا تصيبه بأذى : [قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ] {الأنبياء: ٦٨-٧٠} .

وقد وردت قصة إحراق إبراهيم عليه السلام في القرآن مجملة ، ولم تبين السنة النبوية تفاصيل الحرق ، وقد ورد فيها من الإسرائيليات الكثير ^(١) .

ذكر ابن كثير في تفسيره لمعنى الآية : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ فقال : لما دحضت حجتهم ، وبان عجزهم ، وظهر الحق ، واندفع الباطل ، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم ، فقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فجمعوا حطباً كثيراً جداً . قال السدي : حتى كانت المرأة تمرض فتتذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم ، ثم جعلوه في جوبة ^(٢) من الأرض ، وأضرموها ناراً ، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار مثلها قط ، فلما ألقوه قال : حسبي الله ونعم الوكيل ^(٣) .

وظهرت في هذه المعجزة قدرة الله الباهرة بأن غير حال النار وسلبها صفتها وهي الإحراق ، وجعلها لا تحرق إلا بإذنه سبحانه ، وما كان هذا إلا من عظيم وجليل قدرته سبحانه ؛ كرامة لرسله وأنبياءه عليهم السلام وتبدلهم ، وفي هذا بيان ومقاييس البشر محدودة ومقصورة ، بينما قدرة الله ترجع إلى ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ ، وكن نشأ به أكوان ، وخلق به عوالم ^(٤) .

"فلم تحرق منه غير وثاقه ، وذهبت حرارتها ، وبقيت إضاءتها ، وبقوله : (وسلاماً) أي : سلم من الموت ببردها" ^(٥) .

"أما القرآن الكريم فهو المعجزة الأساسية التي تحدى بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم قومه ؛ لأنه كان من الأمة العربية أمراء الفصاحة والبلاغة ، ولا يزال القرآن وسيظل يتحدى العالم كله في كل زمان ومكان ولن يستطيع العالم مهما أوتي من علوم الفصاحة والبلاغة وغيرها أن يعارض سورة من كتاب الله تعالى ، لقوله تعالى : [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

(١) انظر : قصص الأنبياء ، ابن كثير ، ص ١١٣ .

(٢) جوبة : حفرة واسعة مستديرة ، انظر : المعجم الوسيط ، ص ١٥٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(٤) انظر : إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم ، أحمد الأميري ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٥) تفسير الجالين ، ص ٣٢٧ .

بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [البقرة: ٢٣] " (١) .

إذن لقد ظهر مما سبق من معجزات الأنبياء والرسل دروسٌ يتعلمها الدعاة إلى الله ومنها الثبات على الحق عند اصطدام الإيمان بالكفر ، ولا شك أن الاصطدام حاصل في كل عصر من العصور ، وإن كان يختلف شكله وصورته ، وفي لجوء الرسل والأنبياء لربهم ، بيان أهمية لجوء الداعية في حال قوة ظلم الطاغية إلى الله سبحانه ليعتز بها .

المطلب الثالث : الحجج والأدلة والبراهين .

الرسل والأنبياء أرسلهم الله إلى عباده يقولون للناس نحن مرسلون من عند الله ، وعليكم أن تصدقونا فيما نخبركم به كما يجب عليكم أن تطيعونا بفعل ما نأمركم به ، وقد خاطب نوح قومه قائلاً : [إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا] [الشعراء: ١٠٦-١٠٨] .

فإذا كان الرسل كذلك فلا بد أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله ، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم .

من الحجج والأدلة والبراهين على صدق الأنبياء والرسل :

أولاً : الآيات التي يجريها الله تصديقاً لرسله .

ثانياً : بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين .

ثالثاً : دعوة الرسل (٢) .

أولاً : آيات الله :

لقد دلّ الله ﷻ عباده بالدلالات العينية المشهودة والدلالات المسموعة ، وهو كلامه ، فأرسل إليهم بكلامه رسلاً وأنزل إليهم كتباً ثم إنه سبحانه جعل مع الرسل آيات هي علامات وبراهين ، وهي أفعال يفعلها مع الرسل ، ذلك إعلام منه للعباد وإخبارهم أن هؤلاء رسلي ، فالآيات البيّنات علامات وبراهين من الله ، كما سماها في قوله لموسى : [فَدَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ] [التقصص: ٣٢] .

"أي : يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا

(١) الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر ، ص (١٢٧ ، ١٣٠) .

(٢) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ١٢٥ .

الخارق على يديه" (١) .

دعا صالح قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ] {النمل:٤٥} ، فكذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه :
[قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحَرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]
{الشعراء:١٥٤،١٥٣} وفي قوله تعالى : [قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ] {الأعراف:٧٣} ، قد أخبر الله أنها كانت آية واضحة بينة
لا خفاء فيها (٢) .

قال النبي ﷺ : (ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه
البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم
القيامة) (٣) .

ثانياً : بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين :

القرآن يتحدث عن بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ وأن ذكر محمد وأمته
موجود في الكتب السماوية السابقة ، وأن رسالة الرسول ﷺ هي الرسالة الخاتمة ، وأنه
- صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء والمرسلين ، والدليل على ذلك أن الله تعالى
أخذ العهد والميثاق من جميع الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إذا أدركوا زمانه كما قال
تعالى : [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فاشهدوا وأنا معكم من
الشاهدين * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] {آل عمران:٨٢،٨١} ، أيضاً وردت البشارة
برسالته على لسان أنبياء كثيرين وبصفة خاصة بشرت به كتابا موسى وعيسى ، التوراة
والإنجيل ، قال تعالى : [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ]
{الصَّف:٦} .

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

(٢) انظر : كتاب النبوات ، ابن تيمية ، ص (٣١٣-٣١٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ونسخ الملل بجملة ، ج ١ ،
ص ١٣٤ ، رقمه (٢٣٩) .

اعتراف بعض من اليهود والنصارى بما جاء في كتبهم من وصف للنبي ، منهم النجاشي (١) ملك الحبشة ، وقد أرسل النبي ﷺ كتاباً يدعو إلى الإسلام وقد حمله إليه عمرو بن أمية الضمري ، ولما وصل إليه الكتاب وعلم مضمونه قال لعمر بن الخطاب بأشهاد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأنه بشارة موسى - عليه الصلاة والسلام - براكب الحمار كبشارة عيسى - عليه الصلاة والسلام - براكب الجمل (٢) .

إذن كان اليهود يتربصون بظهور النبي الذي يختم الله به النبوات والرسالات ، وكانوا يستتصرون به ولما ظهر الرسول من العرب ولم يكن منهم حسدوا العرب وكفروا به .

ثالثاً : دعوة الرسل :

يجد الناظر في دعوة الرسل مجالاً خصباً يدلنا على صدقهم ، فقد جاءت الرسل بمنهج متكامل لإصلاح الإنسان ، ولإصلاح المجتمع الإنساني ، ودين كهذا يقول الذين جاؤوا به إنه منزل من عند الله ولا بد أن يكون في غاية الكمال .

وجهنا القرآن إلى هذا النوع من الاستدلال ، فقال : [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا] {النساء: ٨٢} ، المقاصد التي تدعو إليها الرسل ، والفضائل والقيم التي ينادون بها كل ذلك من أعظم الأدلة على صدقهم ، قد قال الله تعالى : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] {الإسراء: ٩} (٣) .

"في هذه الآية يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به ، الذين يعملون الصالحات على مقتضاه ، إن لهم أجراً كبيراً ، أي يوم القيامة" (٤) .

وتتمثل مقاصد دعوة الرسل في التالي :

١ . يدعوا الرسل عليهم الصلاة والسلام الناس إلى الإيمان بالله تعالى والصدق في ذلك مع الله : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] {الأنبياء: ٢٥} .

(١) اسمه أصحمة ملك الحبشة ، وكان ممن حسن إسلامه ، ولم يهاجر ، وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده من يصلي عليه ؛ لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر . كتاب سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .

(٢) انظر : دراسات في العقيدة الإسلامية الإلهيات والنبوات ، أحمد محمد الجلي ، ص ١٨٧ .

(٣) انظر : الرسل والرسالات ، عمر الأشقر ، ص ٢٠٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٨ .

٢. يدعون الناس إلى طاعتهم ، والانقياد إليهم والافتداء في كل شيء بهم : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ] {النساء:٦٤} .

٣. يدعون الناس إلى جعل الحاكمية في كل شيء لله تعالى باعتبار إقرارهم بربوبيته سبحانه، ووجوب عبادتهم له ، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : [إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] {يوسف:٤٠} .

٤. يدعون الناس إلى الإيمان بالنبي الخاتم محمد إن بُعث فيهم .

٥. من دعوتهم أنهم ينذرون الكافرين من عذاب الله تعالى في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة إن هم أصروا على كفرهم حتى يأتيهم العذاب وهم على ذلك ، كما يبشرون المؤمنين بفضل الله تعالى وإسعاده لهم في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة (١) .

المطلب الرابع : استجابة الدعاء .

مما يدلنا على صدق الأنبياء والمرسلين نصره الله لهم وحفظه إياهم واستجابة دعائهم فإنه يستحيل على الله تعالى أن يتقول عليه متقول ، فيدعي أنه مرسل من عند الله وهو كاذب في دعواه ، ثم بعد ذلك يؤيده الله وينصره ، ويرسل الملائكة لتثبيته وحمايته ، وقد أشار القرآن لهذا النوع فقال : [... إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ] {النحل:١١٦} ، فحكم عليهم بعدم الفلاح .

سيدنا نوح عليه السلام كان : صادقاً في دعوته ، فمكث يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته ، والخضوع لأمره ونهيه ، والتطهير من العقائد الفاسدة والأفكار الباطلة ، والعدايات المرذولة مدة حددها الله في القرآن بألف سنة إلا خمسين عاماً ، ودعا نوح قومه بما أوتي من قوة حجة ، وفصاحة لسان ، وبلاغة بيان ، وعقل راجح ، ومع ذلك ما آمن معه إلا أقل القليل حاورهم بشتى الأساليب وطالبهم بتحكيم عقولهم ، والتخلص من أهوائهم وشهواتهم ، والرجوع إلى الفطرة التي خلقهم الله عليها ، ولما يئس عليه السلام من إيمان قومه بعد هذه الفترة الطويلة من الزمان التي كان فيها ذا همة عالية ، وإيمان راسخ وإرادة جبارة دعا عليهم فقال : [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] {نوح:٢٦-٢٧} ، فاستجاب الله لدعوته على قومه بعد أن يئس منهم ومن إيمانهم وعبادتهم الله وحده دون شريك ، ما في قوله تعالى : [فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] {القمر:١٠} ، وقال : [قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَانْفِخْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {الشعراء:١١٧-١١٨} .

(١) انظر : أركان الإيمان ، وهي سليمان الألباني ، ص ١٧٨ .

فاستجاب الله لدعوته فنجاه وفتح بينه وبين قومه ، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه (١) .
 كذلك دعا زكريا ﷺ عندما بلغ من الكبر عتياً ، واشتعل الرأس شيباً ، وكان سنه
 مائة وعشرين سنة ، وامرأته عاقراً لم تلد ، وعمرها أصبح ثمانية وتسعين عاماً ، وقد بلغ
 درجة ما قبل اليأس من أن يكون له ولد ، كما في قوله تعالى : [ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا *
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا *
 وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ
 وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا] {مريم: ٢-٦} (٢) .

فاستجاب الله ﷻ دعاءه ووهب لزكريا ﷺ يحيى رغم تعطل الأسباب ، قال تعالى :
 [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
 وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء: ٩٠} .

كذلك إبراهيم ﷺ دعا ربه في مواطن عدة بيّنها القرآن الكريم ، هذا يبين مدى صلة
 خليل الرحمن بربه ﷻ ، فإن الله تعالى أمر خليله ﷺ وابنه ببناء البيت الحرام ، وأمرهما
 بتطهيره من الأصنام والنجاسات ؛ حتى يتسنى للطائفين والقائمين والركع السجود أداء
 المناسك كما يحب الله ويرضى ، ثم أمره جل وعلا بأن ينادي في الناس لأداء الحج في
 المكان الذي بناه ، فقال تعالى : [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ
 فَجٍّ عَمِيقٍ] {الحج: ٢٧} (٣) .

إنه ﷺ بعد ندائه للناس دعا بدعوات عظيمة لمكة ومن فيها ، فقال عنه جل وعلا :
 [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ
 وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ١٢٦} ، ودعا له ولذريته
 فقال : [رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ
 التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة: ١٢٨} ، وقد دعا ﷺ لأهل مكة أن يبعث فيهم رسولا منهم يدعوهم
 إلى الله وعبادته وحده فقال : [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] {البقرة: ١٢٩} ، وقد استجاب الله دعاءه ﷺ ، فكانت
 مكة بلداً آمناً ، ورزق أهلها من الثمرات ، وبعث المصطفى ﷺ فيهم ليدعوهم إلى الله (٤) .

(١) انظر: مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء ، محمود الأحمد ، ص ١٩٣ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء والمرسلين ، محمد متولي الشعراوي ، ص ٣٠ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ١٨٩ .

الفصل الثاني

إرسال الملائكة وصفاتهم ووظائفهم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إرسال الملائكة وصفاتهم .

المبحث الثاني : وظائف الملائكة .

المبحث الأول

إرسال الملائكة وصفاتهم

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : تعريف الملائكة .
- المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .
- المطلب الثالث : صفات الملائكة .

المبحث الأول إرسال الملائكة وصفاتهم

الملائكة خلق من خلق الله ، بل هو من أعظم مخلوقاته جل وعلا ، ولقد كثر ذكر الملائكة في القرآن الكريم ، وأوجب الله علينا الإيمان بها ؛ ولذا فهو ركن هام من أركان العقيدة ، لا سيما وأنه الركن الثاني منها ، ولقد اقترن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالله في مواطن عدة من القرآن ، كما في قوله : [أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ٢٨٥} ، وجعل الكفر بهم من الضلال البعيد ، قال تعالى : [... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] {النساء: ١٣٦} .

المطلب الأول : تعريف الملائكة .

الملائكة لغة : أصله من ألك ، والمألكة ، المألك : الرسالة ، والملائكة هم رسل الله والملائكة : الرسالة ، وألكني إلى فلان ؛ أي بلغه عني ، والملك مبلغ من الله (١) .
الملائكة اصطلاحاً : "أجسام لطيفة ، أعطت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وسكنها في السموات" (٢) .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .

خلق الله تعالى هذا الإنسان محدوداً في العمر والعيش محدود العقل والفكر مع أنه يود لو يعرف كل شيء .

هذا الإنسان المحدود يسلم فيما يخرج عن حدوده ، سواء كان في العمر أو العيش أو العقل أو الفكر أو السمع أو البصر ، أو القوة والشهوة ، فتراه مثلاً يسلم بوجود بلاد لم يرها حين يُخبر عن صادق أنه رآها ، كذلك نقول في أمور الغيب التي لا تدرك بالحواس أنا نصدق بها حين يكون المخبر بها صادقاً .

فلا تقل بعد لم نر الملائكة فيكيف نؤمن بها ؟ فلقد ورد الخبر الصادق بذلك من الله تعالى ورسوله ﷺ وكفى بذلك حجة .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ، ص ١٣٢-١٣٣ ، مادة : (ألك) ، وانظر : المنجد في اللغة والإعلام ، ص ٧٧٥ .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، وانظر : المنحة الإلهية ، علي الحنفي ، ص ١٨١ .

فالإيمان بالملائكة من أركان العقيدة الإسلامية ، ولا يكون الإيمان حقيقياً وصحياً إلا إذا آمن الإنسان بهم إيماناً لا يتطرق إليه الشك وأمرنا الله أن نؤمن بالملائكة (١) ، لقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] {النساء: ١٣٦} ، وقال تعالى : [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ٢٨٥} .

يترتب على الإيمان بالملائكة آثار من خلال ما سبق :

١. إن للملائكة صلة وثيقة بحياة الإنسان ، ولهم دور في تربيته بالتعاون مع الأنبياء والرسول ، وبدل على ذلك ما جاء في حديث رسول الله ﷺ أنه كان بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل "فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره (٢)" .

٢. تخفيف التكاليف الشرعية والأخلاقية عن نفس المسلم ، وذلك باستحضاره تمثل الملائكة لأمر الله وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، في ذلك تسلية للمسلم .

٣. محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادات على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين .

٤. استشعار لعظمة الله ﷻ وقدرته فالمصنوع يدل على عظمة الصانع ، وعظم خلق الملائكة دليل على عظيم سلطان الحق ﷻ : [الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {فاطر: ١} .

٥. زيادة التقوى في القلب بمعرفة صفاتهم وأحوالهم ووظائفهم ، وخاصة عند معرفة أنهم يكتبون الأعمال .

٦. يجعل الإنسان يستحيي من معصية الله تعالى لما يرى من حضور الملائكة معه وعلمهم بأعماله وكتابة ذلك في صحيفته ، لقوله تعالى : [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ] {الانفطار: ١٠-١٢} .

(١) انظر : أركان الإيمان ، وهبي الألباني ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الإسلام والإحسان وجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، ج ١ ، ص ٣٧ ، رقمه (٨) .

"الحافظين الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالهم ويكتبوها في الصحف ، ووصفهم سبحانه بأنهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من أعمال العباد" (١) .

٧. تقوية نفس الإنسان المؤمن وطرد الهواجس والمخاوف من قلبه ؛ وذلك لأن الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه (٢) . قلت فعلى الداعي أن يرسخ هذه المعاني في نفوس الناس ، مما يدفعهم إلى العمل الجيد ومحاسبة أنفسهم وتجنب السلوك السيئ ؛ لاستشعارهم أن هناك من يراقبهم ويسجل عليهم كل حركاتهم .

المطلب الثالث : صفات الملائكة .

المؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الله ﷻ ، مجملاً أو مفصلاً ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا منه ، ولا يخوض فيه .

وبناءً على ذلك فإن الله ﷻ لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية إلا النذر القليل ، فأخبرنا الله ﷻ أنهم خلقوا قبل آدم وأخبرهم بأنه سيخلق الإنسان ، ويجعله في الأرض ، قال تعالى : [وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] {البقرة: ٣٠} (٣) .

١- من صفاتهم أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها حجم مادي يدرك بالحواس الإنسانية ، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولكنهم عباد الرحمن ، فعن عائشة عن الرسول ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) (٤) .

٢- من صفاتهم أن منهم أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع أو أكثر من ذلك ، قال تعالى : [الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {فاطر: ١} .

قد رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدُّرِّ والياقوت ما الله به عليم (٥) .

٣- من صفاتهم أنهم قادرون على الصعود والهبوط بين السموات والأرض ، كقوله تعالى : [تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] {المعارج: ٤} .

(١) فتح القدير ، محمد الشوكاني ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .

(٢) انظر : أركان الإيمان ، وهبي الألباني ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣) انظر : الإيمان وأركانه حقيقته ونواقضه ، محمد نعيم ياسين ، ص ٣١ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ج ٦ ، ص ١٥٢ ، صححه ابن حبان .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ٣٩١٥ ، حسنه الألباني .

٤ - الخوف من الله تعالى ، أنهم لا يعصون الله ، وعلى عبادة الله يقيمون [وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ] {الرعد:١٣} .

٥ - إنهم قادرون على التمثل والتشكل بأشكال جسمانية كما في قصة نزول جبريل عليه السلام على مريم وقد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً وتمثله لها بشراً سوياً^(١) ، قال تعالى : [وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا] {مريم:١٦-١٨} .

٦ - من صفاتهم أن الله جعل منهم الرسل للقيام بتبليغ الشرائع للأنبياء ، قال تعالى : [الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {فاطر:١} .

٧ - إنهم يعبدون الله تعالى ويذكرونه ، قال تعالى : [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ] {الأنبياء:١٩-٢٠} ، وقال تعالى : [... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] {التَّحْرِيم:٦} .

٨ - إن الملائكة قد يكونون معنا ولا نراهم ، فقد كان ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على رسول الله ﷺ ولا يراه جلساء الرسول ﷺ ، فعن أبي سلمة^(٢) أن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، قالت : وعليه السلام ورحمة الله ، وهو يرى ما لا أرى)^(٣) .

٩ - تأذيتهم مما يتأذى منه بنو آدم ، قال رسول الله ﷺ : (من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)^(٤) .

(١) انظر : فتح القدير ، محمد الشوكاني ، ج٣ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) هو عمر بن عبد الله أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، من الصحابة ولد بالحبشة ، ورباه النبي ﷺ وولي البحرين زمن علي ، وشهد وقعة الجمل ، وتوفي بالمدينة . انظر : أسد الغابة ، م٤ ، ص ١٦٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، ج٢ ، ص ٩١٩ ، رقمه (٣٧٦٨) ، وانظر : أصول الإيمان ، محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨٨ ، ٩٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً وكراتاً أو نحوها ، ج١ ، ص ٣٩٥ ، رقمه (٧٤) .

المبحث الثاني وظائف الملائكة

وفيه ثمانية مطالب :

- المطلب الأول : حمل عرش الرحمن .
- المطلب الثاني : التسبيح بحمد الله وتعظيمه .
- المطلب الثالث : الملائكة سفراء الله إلى رسله .
- المطلب الرابع : القتال مع المؤمنين .
- المطلب الخامس : حضور مجالس العلم .
- المطلب السادس : كتابة الحسنات والسيئات .
- المطلب السابع : قبض الأرواح .
- المطلب الثامن : الحساب في القبر .

المبحث الثاني وظائف الملائكة

المطلب الأول : حملة عرش الرحمن .

لا سبيل إلى معرفة وظائف جميع الملائكة تفصيلاً ، إذ لم يرد بذلك خبر يقيني ، وإنما أخبر القرآن الكريم ببعض هذه الوظائف ، فيجب علينا الإيمان بها طبقاً لبيانه وإخباره ، كما أنه نص على أسماء بعض الملائكة . فيجب الإيمان بالأسماء المنصوص عليها ، ومن هذه الوظائف حمل عرش الرحمن ، وعرش الله مخلوق يليق بقدرته وعظمته ، قال تعالى : [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] {التوبة: ١٢٩} .

وبين القرآن الكريم أن الذين يقومون بهذه الوظيفة عددهم ثمانية^(١) لقوله تعالى :

[وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ] {الحاقة: ١٧} .

" الملائكة حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين هم أفضل الملائكة يقرون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات الثناء والتحميد ، ويصدقون بوجود الله ولا يستكبرون عن عبادته فهم خاشعون له ، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا من أهل الأرض ممن آمن بالغيب " ^(٢) .

الملائكة الذين يحملون العرش يوم القيامة هم أعظم من جبريل من حيث الخلق ، لكن من حيث الدرجة فجبريل في مقدمتهم ، وبين ذلك رسول الله ﷺ عظم خلق حملة العرش، فعن جابر بن عبد الله ^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه ^(٤) مسيرة سبعمائة عام ^(٥)) ، قلت نحن ممن يؤمن بحملة العرش ونترك الكيف لله .

(١) انظر : الياقوت والمرجان ، عبد اللطيف آل موسى ، ص ١٠٠ .

(٢) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٢٣ ، ص ٨٠ .

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، قيل شهد بدرًا ، وكذلك غزوة أحد ، وتوفي جابر سنة أربع وسبعين ، وقيل سنة سبع وسبعين ، وكان أمير المدينة . كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، م ١ ، ص ٣٥٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

(٤) عاتقة : الرداء من المنكب ، يذكر ويؤنث ، انظر مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ٤١١ .

(٥) رواه أبو داود كتاب السنة ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ ، رقمه (٤٧٢٧) ، صححه الألباني .

المطلب الثاني : التسبيح بحمد الله وتعظيمه .

الملائكة عباد مكرمون ، منهم الصافون ومنهم المسبحون ، ليس منهم إلا له مقام معلوم ، كل منهم على عمل قد أمر به ، لا يقصر عنه ، لقوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ] {الأعراف: ٢٠٦} .

"والملائكة في عبادة دائمة وطاعة مطلقة ، وهم معصومون من ارتكاب المعصية متعبدون بالطاعة لقوله تعالى : [لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] {التَّحْرِيم: ٦} ، إنهم لا يفترون عن تسبيحهم لله وتقديسهم له سبحانه" (١) ، لقوله تعالى : [يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ] {الأنبياء: ٢٠} ، "من عبادتهم أنهم يقومون للصلاة بين يدي ربهم صفوفاً مستقيمة" وما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راعٍ ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لم نشرك بك شيئاً" (٢) .

"وأخبر في آية سورة غافر أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، ويخضعون له ويخصون المؤمنين التائبين بالاستغفار ويدعون به بأن ينجيهم من النار ، ويدخلهم الجنة ويحفظهم من فعل الذنوب والمعاصي : [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [غافر: ٧-٨]" (٣) .

المطلب الثالث : الملائكة سفراء الله إلى رسله .

خلق الله الخلق وجعل الأنبياء أفضل خلقه على الإطلاق ، ويأتي الفضل بعد الأنبياء لخواص الملائكة ثم خواص أولياء البشر ثم عوام الملائكة ، لقوله تعالى : [اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] {الحج: ٧٥} ، أي أن الله تبارك اصطفى من بين الملائكة جماعة فضلهم على غيرهم ، فأفضلهم عند الله تعالى خواصهم كجبريل وميكائيل (٤) وإسرافيل ورضوان وخازن النار وحملة العرش المجيد - عليهم السلام - ، ثم أفضل

(١) علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٢) أصول الإيمان ، محمد بن عبد الوهاب ، ص ٩٠ .

(٣) عالم الملائكة الأبرار ، عمر سليمان الأشقر ، ص ٦٨ .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٣٤١ .

الخواص ورئيسهم هو جبريل الأمين وخصه بأشرف وظيفة ، وهو السفارة بينه تعالى وبين رسله - عليهم السلام - ، فكان ينزل بالوحي ، لقوله تعالى : [قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] ^(١) {البقرة: ٩٧} ، وقوله : [نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ] {الشعراء: ١٩٣-١٩٤} ، "والروح الأمين هو جبريل عليه السلام ووصف بالأمين لأنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده ، على قلبك : أي على روحك أي أن القرآن أنزله الله إليك ، وجاء به جبريل عليه السلام فتلاه عليك ، لتتذرع به قومك بلسان عربي ليكون قاطعاً للعدو ، مقيماً للحجة ، هادياً إلى الرشاد ، مصلحاً لأحوال العباد" ^(٢) .

"فجبريل كان يأتي الرسول ، إما على حالته الملكية وهذه شديدة على الرسول ، والحالة الثانية كان جبريل ينتقل من حالته الملكية إلى البشرية وهذه أخف على الرسول" ^(٣) ، روي عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك ^(٤) ، وقد يأتي الوحي غير جبريل ، وهذا قليل كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس بينما جبريل قاعد عند النبي سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال : (هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال ، هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم ، وقال أبشر بنورين أتيتهما لم يؤتتا نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيتها) ^(٥) .

وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مرتين ، الأولى : بعد البعثة بثلاث سنوات ، عن جابر بن عبد الله : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (بينما أنا أمشي ،

(١) انظر الياقوت والمرجان ، عبد اللطيف خالد آل موسى ، ص ٩٩ .

(٢) تفسير المراعي ، أحمد مصطفى المراعي ، ج ١٩ ، ص ١٠٤ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص ٣٩ ، انظر : عالم الملائكة الأبرار ، عمر الأشقر ، ص ٤٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله وقول الله جل ذكره ، ج ١ ، ص ١٧ ، رقمه (٢) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة ، ج ١ ، ص ٥٥٤ ، رقمه (٢٥٤) .

إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جااني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت ، فقلت : زملوني)^(١) ، والثانية عندما عرج به إلى السماء ، وهاتان المرتان مذكورتان في سورة النجم في قوله تعالى : [عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتَأْتُرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا رَآغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى] {النجم:٥-١٧} .

وأرسل الله ملائكته إلى لوط عليه السلام لإخباره ، بهلاك قومه المكذبين والمصرين على ارتكاب أفظع الفواحش ، وأمره بالخروج من هذه القرية الظالمة للنجاة من العذاب ، قال تعالى : [قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ] {هود:٨١} .

وأيضاً جاءت الملائكة إلى إبراهيم - عليه وعليهم السلام - تحمل له البشري بالولد بعد بلوغه الكبر وبلوغ زوجه سن اليأس ، قال تعالى^(٢) : [وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود:٦٩-٧١} .

المطلب الرابع : القتال مع المؤمنين .

امتن الله ﷻ على عباده المؤمنين بإرسال جنود من الملائكة للتأييد والنصر للمؤمنين في بدر ، وفي أقصى حصار استهدف الوجود الإسلامي كله في المدينة المنورة ؛ حيث إن المسلمين لما نزلوا ببدر رأوا كثرة المشركين ، وعلموا أنه لا بد من قتال الطائفة ذات الشوكة ، وهم النفير ورأوا كثرة عدد النفير ، وقلة عددهم ، فاستغاثوا واستجاروا بالله ﷻ من عدوهم ودعوه لينصرهم عليه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله وقول الله جل ذكره ، ج ١ ، ص ١٨ ، رقمه (٤) .

(٢) انظر: قصص الأنبياء ، عماد الدين الدمشقي ، ص ١٥١ .

عن ابن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم (١) ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف (٢) بربه : "اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة (٣) من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه ، مستقبلاً القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كذاك مناشدتك ربك (٤) فإنه سينجز لك ما وعدك" ، فأُنزل ﷻ قوله : [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ] {الأنفال: ٩} ، فأجاب دعاءهم وأمدهم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضاً ، ثم تبعها آخرون فصاروا ثلاثة آلاف ، ثم خمسة آلاف (٥) ، لقوله تعالى : [إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ] {آل عمران: ١٢٤، ١٢٥} .

لقد كان حلول الملائكة بكيفية يعلمها الله تعالى ، فيراهم من أكرمه الله برؤيتهم .

وقد رأى بعض الصحابة آثار عمل الملائكة واشتراكهم في القتال (٦) ، كما ثبت في الصحاح "أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد رجوعه من الخندق ، وقد وضع سلاحه واغتسل ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفذ رأسه من الغبار ، فقال للرسول : وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه ، أخرج إليهم ، فقال رسول الله ﷺ : "فأين؟" فأشار إلى بني قريظة (٧) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ج ٣ ، ص ١٣٨٤ ، رقمه (١٧٦٣) .

(٢) يهتف بربه : معناه يصيح ويستغيث بالله بالدعاء ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٦٨٩ .

(٣) العصابة : الجماعة . انظر : مختار الصحاح ، ص ٣٣٥ .

(٤) مناشدتك ربك : المناشدة ، السؤال مأخوذة من التشديد وهو رفع الصوت ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٦٥٩ .

(٥) انظر : جامع البيان ، الطبري ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، وانظر : الرحيق المختوم ، صيفي الرحمن المباركفوري ، ص ٢٣٦ ، دار الحديث ، القاهرة ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٤م .

(٦) انظر : علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ص ٤٢٢ .

(٧) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحض على حكم حاكم عدل الحكم ، ج ٣ ، ص ١٣٨٩ ، رقمه (١٧٦٩) .

وقال أنس رضي الله عنه : كأنني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل - صلوات الله عليه - حين سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني قريظة ^(١) .

وأيضاً في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في غزوة بدر :
(هذا جبريل أخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب) ^(٢) .

وقد حاربت الملائكة في غزوة الأحزاب كما قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا]
{الأحزاب:٩} .

"والمراد بالجنود الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول : يا بني فلان إليّ ، فيجمعون إليه ، فيقول : النجاة النجاة لما ألقى الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلوبهم الرعب" ^(٣) .

إذن فإن الرعب سبب من أسباب النصر ، يلقيه الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب المشركين مؤيداً به عباده المؤمنين ، فما يبقى أمام الكفر سوى الفرار أو الاستسلام ، سواء على صعيد غزوة بدر أو أي مواجهة مع الأعداء ، فلو تأملنا حال المؤمنين المجاهدين في معركة الفرقان على أرض غزة ، والتي وقعت مؤخراً في عام ٢٠٠٩م ، لوجدنا أن الأعداء ، وهم اليهود ، كانوا يقاتلون بصواريخهم ودباباتهم من صناعات يهودية وأمريكية حديثة الصنع ، وقوية الأداء أمام المجاهدين الفلسطينيين الذين ليس لديهم إلا أسلحة بسيطة لا تساوي شيئاً أمام الدبابات والصواريخ ، لكن لو نظرنا حال المجاهد المؤمن بالله وحال اليهودي الكافر لوجدنا أن المؤمن المقاوم المرابط المجاهد ، رغم قلة أسلحته وبساطتها ، فإنه يقاوم بنفس مطمئنة شجاعة ، وفي المقابل فإن العدو يقاتل ويضرب بصواريخه بكل خوف وجزع ، وشتان بين هذا وذاك ، فالمؤمن المجاهد يرجو من الله النصر أو الشهادة ودخول الجنة ، والعدو لا يرجو إلا أن يأمن على نفسه من أن يقتله المجاهد المرابط في سبيل الله ، فهو حريص على حياته بأي شكل من الأشكال ، لقوله تعالى في وصفهم : [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ...] {البقرة:٩٦} .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه من بني قريظة ومحاصرته
إياهم ، ج ٣ ، ص ٤٥ ، رقمه (٢٤١١٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة ، ج ٣ ، ص ١٤ ، رقمه (٢٣٩٩٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

وهذا ما رأيناه بعد انتهاء معركة الفرقان بين اليهود والمقاومين الفلسطينيين المجاهدين المرابطين ، فكان الرعب والخوف والفرع هو السبب الوحيد الذي جعلهم يتهون هذه المعركة .

وفي سيرة ابن هشام عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرا ، إلا جبريل عليه السلام فإنه كانت عليه عمامة صفراء (١) .

"وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة ، وميكائيل في خمسمائة" (٢) .

وهذه الرواية في السيرة النبوية توضح الإمداد بالملائكة ، وهذا ما حدث في معركة الفرقان على غزة ، ولقد ذكرت روايات لجنود إسرائيليين على القناة العاشرة الإسرائيلية أكد فيها جندي إسرائيلي أنه فقد بصره عندما رأى شاباً يلبس الأبيض يرمي بحفنة من التراب أمامه ، فلم يرَ بعدها وأصيب بالعمى .

وأيضاً ، "روي عن سائق إسعاف في مستشفى شهداء الأقصى بأنه عندما كان ينقل الحالات بين غزة والوسطى استوقفه الجيش على طريق البحر وفتش السيارة ، وسأله الجنود عن المقاتلين الذين يلبسون الأبيض ، والذين يطلقون النار عليهم ولا يموتون" (٣) .

ويؤكد ذلك ما روي عن أبي جهل حيث قال لابن مسعود : من أين كان الصوت الذي نسمع ولا نرى شخصاً ! قال : هو من الملائكة ، فقال : هم غلبونا لا أنتم (٤) .

إذن فالنصر من عند الله بالسيف ويكون بالحجة ، فالنصر ليس بكثرة عدد ولا عُدَّة ، فالله هو العزيز الذي لا يغالبه مغالب (٥) .

إن مهمة الملائكة في المعارك ضد أعداء الله تمثلت فيما يلي :

١- تطمين قلوب المؤمنين : حيث قال تعالى : [وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {الأنفال: ١٠} . يقول الشيخ محمد متولي شعراوي : "واعلموا أن الملائكة هي لطمانة القلوب لكن الله يريد أن يعذبهم بأيديكم أنتم؛ لأن الله

(١) انظر : سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٢) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ .

(٣) موقع شبكة فلسطين للحوار www.palds.net .

(٤) انظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ ، وفي رحاب التفسير ، الشعراوي ، ج ٨ ، ص ٤٥٩٠ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٦٨ .

يريد أن يربي المهابة لهذه العصابة بالذات بحيث يحسب لها الناس ألف حساب" (١) .

٢- **تبشير المؤمنين** : حيث قال تعالى : [وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى] . يقول الشعراوي في هذه الآية : "وما إن بدأت المعركة حتى بدأ توالي النعم التي سوف تأتي بالنصر ، إمداد الملائكة بشرى لتطمئن القلوب ، وثقة من أن النصر من عند الله العزيز الحكيم" (٢) .

٣- **تثبيت قلوب المؤمنين في صفوف القتال** : قال تعالى : [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغَبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] {الأنفال:١٢} ، فأمد الله المسلمين بالملائكة للبشرى لهم بالنصر وتطمين قلوبهم وتثبيتها (٣) .

٤- **قتال الملائكة مع المؤمنين في أرض المعركة** : حيث إن المشركين هم الذين رأوا أعداد الملائكة تنضم للجيش الإسلامي ، ولقد نقل تلك الصورة الذين أسلموا وحسن إسلامهم من المشركين ، ولم يُقتلوا في بدر (٤) .

خلاصة القول فيما سبق :

تعتبر الملائكة من النعم التي أمد الله بها المؤمنين في غزوة بدر حتى تكون سبباً لتحقيق النصر ، والأمر لا يقصر على عهد الرسول ﷺ ، بل يستمر إلى قيام الساعة ، وهذا المعنى أكد عليه د. عبد الرحمن الجمل أن ليس صدفة أن تسمى الحرب على غزوة بمعركة الفرقان ، إنما كانت التسمية بقدر الله تعالى ، وذلك أن هذه المعركة امتداد لمعركة بدر التي سماها ربنا ﷺ ، بيوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، وقد أكرم الله تعالى المجاهدين بكرامات تثبتاً لهم وربطاً على قلوبهم ، ولا عجب في ذلك ولا غرابة ، فقد نص العلماء على أن نزول الملائكة في بدر للقتال مع المؤمنين ليس خاصاً بأهل بدر ، بل هو عام في كل فئة مؤمنة إن أخلصت في قتالها، وصدقت في جهادها لرفع كلمة الله تعالى ، وإقامة شرعه .

وقد تحدث المجاهدون في أرض المعركة عن قصص وقعت لهم ثبت الله بها أفئدتهم ، وربط بها على قلوبهم ، من هذه الكرامات ما حدثنا به من رأى بعينه من المجاهدين في قرية المغرقة ، فقد قصف أحد المنازل بقذيفة أشعلت فيه ناراً عظيمة توشك أن تمتد إلى البيوت المجاورة ، فوقف أحد المجاهدين يناجي ربه ويدعوه باكياً : يا من جعلت النار برداً

(١) تفسير الشعراوي ، ج ٨ ، ص ٤٥٩٠ .

(٢) تفسير الشعراوي ، ج ٨ ، ص ٤٥٩٢ .

(٣) انظر : فتح القدير ، الشوكاني ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

(٤) انظر : التربية الجهادية ، د. منير الغضبان ، ج ١ ، ص ٧٩ .

وسلاماً على إبراهيم أطفئ النار بقدرتك ، فلم يمضِ سوى ثلاث دقائق وإذا بالنار تنطفئ ، فأجهش المجاهدون بالبكاء ؛ لأنهم شعروا بتأييد الله تعالى واستجابته دعاءهم .

وأيضاً قد أخبر أحد المجاهدين في ميدان المواجهة في المغرقة والطائرات من فوقهم وهم لا يستطيعون الحراك ، وإذا بغمامة من فوقهم تظلمهم وتغطيهم عن الطائرات ، فتحركوا من مكانهم دون أن يصيبهم أذى .

وأيضاً رواية أحد المجاهدين ، حيث يروون قصة يقول فيها : "يوجد منزل لعائلة دربونة عند مفترق جبل الكاشف مع جبل الريس في شارع القرم في منطقة جباليا ، ارتقى الجنود المنزل وأجلسوا العائلة كلها في غرفة واحدة ، واصطحبوا أحد شباب العائلة معهم للتحقيق ، وأخذوا يسألونه ماذا يلبس مقاتلو القسام ، فأجاب : إنهم يلبسون زياً أسود ، وأضاف الراوي أنه ثارت تائفة الجنود وانهالوا عليه بالضرب حتى أغشي عليه ، وفي اليوم التالي أتى به الجنود وسألوه السؤال نفسه ليعاود هو الإجابة نفسها بأن جنود ومقاتلي القسام يرتدون الزي الأسود ليقوموا مرة أخرى بضربه حتى أغشي عليه ، وفي اليوم الثالث عاود الجنود إحضار الشاب وسألوه السؤال نفسه فأجابهم ذات الإجابة ، فأخذ أحدهم يسبه ويشتمه ليقول له : يا كذاب إنهم يلبسون زياً أبيض" ، بل إن شهادات يهود التي تنبأها القناة العاشرة ، وغيرها والتي تحدث الجنود فيها عن أشباح كانوا يخرجون لهم من باطن الأرض ، وأنهم كانوا يقاتلون أشباحاً ، وشهادة ذلك الجندي الذي أصيب بالعمى ، وكان سبب ذلك أن رجلاً يلبس ملابس بيضاء رمى حفنة تراب في عينيه .

بل أيضاً الرعب الذي قذفه الله في قلوب يهود جعلهم رغم ما يملكون من أسلحة وعتاد يتفوقون بها على المجاهدين ، يخافون من التقدم داخل التجمعات السكنية .

هذه من الدلائل التي استدلت بها المجاهدون واطمأنت قلوبهم وأشعرتهم بمدد الله لهم ونصرته ، وهذه القصص العجيبة الغريبة التي تعيدنا سريعاً إلى أحداث حدثت في عهد المصطفى ﷺ وصحابته الكرام ، تعيدنا إلى بدر الكبرى والخندق ، تعيدنا إلى ما في المسلمين الأوائل ، أولئك التقاة المجاهدين الذين طلقوا الدنيا وارتضوا الجهاد ، وأرى أن الحكمة والغاية من هذا الإمداد تثبيت المؤمنين وبيان قدرة الله ﷻ في محاربة الكافرين (1) .

(1) لمعرفة المزيد من الكرامات انظر موقع الننت : شبكة فلسطين للحوار www.palds.net .

انظر : مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية ، آيات الرحمن في معركة الفرقان ، بقلم : د. عبد الرحمن الجمل ، ص ٤-٧ ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

المطلب الخامس : حضور مجالس العلم .

"إن الملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون الذكر ، ويشهدون الجمع والجماعات يتعاقبون فينا ، فطائفة تأتي ، وطائفة تذهب" (١) ، يقول الرسول ﷺ : (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا) (٢) .

إن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته لقول النبي ﷺ : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليها السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) (٣) .

وهم يشجعون العبد على طاعة ربه ، وعبادته ، ويحببونه بالذكر والقرآن ويحثونه على العلم والخير ، ويحضرون صلاته وقرآنه .

تكرمهم لطالب العلم :

قال النبي ﷺ : (إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم) (٤) ، إذن ، فإن الأعمال الصالحة تقرب الملائكة منا وتقربنا منهم والذنوب والمعاصي تحرمنا من دعوة الملائكة وتبعدهم عنا .

المطلب السادس : كتابة الحسنات والسيئات .

الملائكة تتميز بالدقة والقدرة الفائقة على المراقبة الداخلية والخارجية للإنسان ، سواء في السر أم في العلن ، وقد "وكل الله بكل إنسان ملكين حاضرين عن يمينه وشماله ملازمين له لا يفارقانه لحظة من الزمان ، يحصيان عليه كل أقواله وأفعاله ، بل ويعلمان همه بالحسنة والسيئة ، وقد بين القرآن الكريم ذلك فقال : [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفَعَّلُونَ] (٥) {الانفطار: ١٠-١٢} ، [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] [ق: ١٦] .

(١) علم الإيمان ، عبد المجيد عزيز الزنداني ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ﷻ ، ج ٤ ، ص ١٦١٦ ، رقمه (٦٤٠٨٩) .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ج ٤ ، ص ٢٠٧٣٤ ، رقمه (٢٢٦٩٩) ، وانظر : كتاب أصول الدين ، محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٠٧ .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ص ٦٠٤ ، رقمه (٢٦٨٢) وهو صحيح .

(٥) انظر : علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ج ٢ ، ص (٣٨٤، ٣٨٣) .

وعن أبي أمامة ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة) ^(٢) .

واستدل شارح الطحاوية ^(٣) أن الملائكة تكتب خواطر القلوب بقوله تعالى : [يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ] {الانفطار:١٢} ، فالآية شاملة للأفعال الظاهرة والباطنة ، وأيضاً بالحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه سبحانه : (إذا همَّ عبدي بسينة فلا تكتبوها سيئة ، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاعتبوا بها حسنة فإن عملها فاعتبوا بها عشراً) ^(٤) . وذكر ابن كثير أيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى : [مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] {ق:١٨} ، "كان يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر ، حتى إنه ليكتب قوله : أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله ، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره" ، وذلك قوله تعالى : [يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ] ^(٥) {الرعد:٣٩} .

المطلب السابع : قبض الأرواح .

من وظائف الملائكة قبض الأرواح ، وكل الله ﷻ ملك الموت بقبض أرواح العباد عند نهاية آجالهم ، قال تعالى : [قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ] {السجدة:١١} ، الظاهر من الآية أن ملك الموت واحد معين من الملائكة ^(٦) .

(١) أبو أمامة بن سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن الحارث ، كان ثقة كثير الحديث . توفي سنة مائة وهو ابن تسعين سنة ، أسد الغابة ، عز الدين بن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٨ .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الفتح الكبير ، محمد الألباني ، م ١ ، ص ٤٢٢ .

(٣) شارح العقيدة الطحاوية هو : علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، متوفى سنة ٧٩٢هـ ، فقيه كان قاضي القضاء بدمشق . انظر : كتاب الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج ٤ ، ص ٣١٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسينة لم تكتب ، ج ١ ، ص ١٤٧ ، رقمه (١٦٢) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

"وجعل الله له عوناً يساعده في ذلك ، وجاء التعبير عن هذا الصنف من الملائكة في القرآن الكريم بأنهم رسل الله تعالى للقيام بهذه الوظيفة" (١) ، قال تعالى : [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ] {الأنعام:٦١} ، بمعنى أن الملائكة الموكلون بقبض الأرواح لا يقصرون فيما يؤمرون به (٢) ، وقد قسم الله ملائكة الموت إلى قسمين : النازعات والناشطات ، النازعات : الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بشدة وعنف وتعذيب ، والناشطات : الملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين برفق ولين (٣) ، قال تعالى : [وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا] {النَّازِعَات:١-٢} ويبشرون المؤمنين عند الموت ويؤنبون العاصين ، لقوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ] {فصلت:٣٠} ، [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا] (٤) {النساء:٩٧} .

المطلب الثامن : الحساب في القبر .

القبر شيء مجهول ، ظاهره سكوت ، وباطنه أسرار وأحوال ، لا يدركها الإنسان العادي ، وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونيعمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى : [وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {المؤمنون:١٠٠} .

من ورائهم : يعني أمامهم ، وقال مجاهد (٥) : البرزخ هو الحاجز ما بين الدنيا والآخرة ، [وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] : "أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث" (٦) .

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة ، ص٢٤٦ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، ص١٣٥ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٤ ، ص٤٩٧ ، وانظر تفسير الجلالين ، ص٥٨٧ .

(٤) انظر : تعريف عام بدين الإسلام ، علي الطنطاوي ، ص١٥٣ .

(٥) هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ المفسر الحافظ مولى السائب ، كان فقيهاً ورعاً عابداً ، قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أفق عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت ، توفي سنة ١٠٣ ، وانظر : كتاب طبقات الحفاظ ، جلال الدين السيوطي ، ص٤٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

"أول ليلة في القبر ... بكى منها العلماء وشكا منها الحكماء ، عن علي بن أبي طالب (١) ﷺ أنه خرج إلى المقبرة ، فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور ، أخبرونا عنكم أو نخبركم . أما خبر ما قبلنا : فالمال قد اقتسم ، والنساء قد تزوجن ، والمساكن قد

سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نرَ زاداً خيراً من التقوى" (٢) .
روي عن عثمان (٣) ﷺ إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : (إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه) ، وقال رسول الله ﷺ : (ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفضع منه) (٤) .

قد ذكر القرآن الكريم نعيم البرزخ وعذابه ، قال تعالى : [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] {الأنعام:٩٣} .

هذا خطاب لهم عند الموت [وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ] : أي بالضرب والتعذيب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ويقول لهم أخرجوا أنفسكم ، ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم ، والحميم ، وغضب الرحمن

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزوجه بنته فاطمة . كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، ج ٤ ، ص ٥٦٤ .

(٢) القبر أول منازل الآخرة ، علي عبد العال الطهطاوي ، ص ٣١ ، ٣٢ ، انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام القرطبي ، ص ٨٧ .

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين ، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح ، وكان ربعة حسن الوجه ، رقيق البشرة ، عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين . الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ج ٤ ، ص ٤٥٦ .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب ذكر القبر والبلى ، ص ٧٠٧ ، رقمه (٢٤٢٦٧) ، حكمة حسن ، وانظر : مسند أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص (٦٣ ، ٦٤) ، حسنه الألباني ، وصححه ابن ماجة .

الرحيم فنتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج من أجسادهم قائلين لهم : [أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ] أي : اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسوله (١) .

وقوله تعالى : [وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] {السجدة: ٢١} .

"قد احتج بهذه الآية جماعة ، منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر ؛ لأن هذا العذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر ، ولم يكن هذا يخفى على حبر الأمة ، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر" (٢) .

ويقول الله ﷻ : [فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ] {غافر: ٤٥-٤٦} .
[وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ] : وهو الغرق في اليم ، ثم النقلة منه إلى الجحيم ، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة ، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسامهم في النار ، ولهذا قال : [وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ] أي : أشده ألماً وأعظمه نكالاً ، هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور ، وهو قوله تعالى : [النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا] (٣) .

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، عن ابن عباس قال : (مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ، فقال النبي ﷺ : يعذبان وما يعذبان في كثير ، ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستتر "لا يستبرئ" من بوله ، وكان الآخر يمشي بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، انظر : عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ص ٤١٣ .

(٢) كتاب علم الروح ، أحمد حسن الباقوري ، ص (٦٢ ، ٦٣) .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٤ ، ص ٨ .

منهما كسرة ، فقيل له : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا ، أو على أن ييبسا (١) .

حديث قتادة عن أنس (٢) أن النبي ﷺ قال : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولوا عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ في محمد ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعداً من الجنة) ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، ثم رجع إلى حديث أنس بن مالك قال : (وأما الكافر والمنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من عليها غير الثقلين) (٣) .

وقال النبي ﷺ : (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه) ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : (تعوذوا بالله من عذاب النار) قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : (تعوذوا بالله من عذاب القبر) قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : (تعوذوا بالله من فتنة الدجال) ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال (٤) .

من الغريب أن البهائم تسمع عذاب القبر والإنسان العادي لا يسمعه (٥) ، عن عائشة قالت : دخل عليّ عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا لي : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما ، قالت : فخرجنا ودخل الرسول ﷺ فقلت له : يا رسول الله إن عجوزتين

(١) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، ج ١ ، ص ٧٠ ، رقمه (٢١٦) .

(٢) أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الله بن رواحة ، مات سنة ٩٣ هـ ، وهو ابن (١٠٣) ، وقيل : مات سنة ٩٢ هـ ، وله ٩٩ سنة ، شهد بدرًا ، وشهد مع النبي ﷺ صلح الحديبية . انظر : كتاب تهذيب التهذيب ، شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، م ١ ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٣) صحيح ابن حبان ، ج ٧ ، ص ٣٩٠ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب وصفه نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٠ ، رقمه (٢٨٦٧) .

(٥) انظر : عذاب القبر ونعيمه ، أبو عبد الله محمد القرطبي ، ص ١٤٣ .

من عجائز يهود المدينة دخلتا عليّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها ، قالت : فما رأيته بعد ذلك في الصلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر (١) .

عذاب القبر دائم أم منقطع ؟

جواب هذه المسألة على نوعين : نوع دائم ، ونوع منقطع .

النوع الأول وهو الدائم : قال تعالى : [النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا] {غافر:٤٦} ، ويدل عليه حديث ابن عباس في قصة الجريدتين (لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا) فجعل التخفيف مقيداً بمدة رطوبتهما فقط .

النوع الثاني المنقطع : وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ، ثم يزول عنه العذاب ، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج ، ولكن هذه شفاعاة قد لا تكون بذلك ، الله ﷻ لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له لقوله تعالى : [... مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...] {البقرة:٢٥٥} ، [... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ...] {الأنبياء:٢٨} ، [وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ...] {سبأ:٢٣} (٢) .

أسباب عذاب القبر :

يجب أن نعلم أن كل هؤلاء لهم من عذاب القبر نصيبه :

- ١- النمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور .
- ٢- القائل على الله ورسوله ما لا علم به .
- ٣- الحاكم بغير ما أنزل الله فيقدم القوانين الوضعية التي وضعها الإنسان على شرع الله .
- ٤- الجبارون المتكبرون والذين يستعبدون الناس .
- ٥- الذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم .
- ٦- المعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها .
- ٧- المصلي بغير طهور والمؤخر للصلاة .
- ٨- الذي يحلف بالله تعالى كذباً .

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ، ج ١ ، ص ١٤١١ ، رقمه (١٢٥) .

(٢) انظر: كتاب الروح، ابن قيم الجوزية ، ص ١١٠ ، ١١١ .

٩- الذي يفتخر بالمعصية ويتكاثر بها بين إخوانه وأقربائه وهو المجاهر .
١٠- آكل الربا و آكل أموال اليتامى و آكل السحت من الرشوة ، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات ، وفي باطنها الدواهي والبلبيات ، تغلي بالحسرات كما تغلي القذور بما فيها ، وهذه محل للعبر ، فالقبر رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار (١) .

وأيضاً من وظائف الملائكة :

١ - كتابة المصلين يوم الجمعة الأول فالأول :

قال رسول الله ﷺ : (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجلسوا يستمعون الذكر) (٢) .

٢ - تعاقب الملائكة على المصلين :

قال رسول الله ﷺ : (يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) (٣) .

وقد عظم الله شأن صلاة الفجر ؛ لأن الملائكة تشهدها ، قال : [... وَفُزَّانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا] [الإسراء: ٧٨] .

٣ - النفخ بالصور :

إسرافيل عليه السلام : هو الملك الذي يدعو الخلائق يوم القيامة بأمر الله تعالى فيخرجون من قبورهم ، قال تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ] (٤) [الرُّوم: ٢٥] .

وهو الذي ينادي الخلائق يوم القيامة ، قال تعالى : [وَأَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ] [ق: ٤١] ، وهو الذي ينفخ في الصور - القرن - النفخة الأولى ليموت الخلق جميعاً إلا ما شاء الله تعالى ليبيعث الموتى جميعاً بإذن الله تعالى ، قال الله تعالى : [وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ

(١) انظر : كتاب الروح ، ابن قيم الجوزية ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، كتاب ذكر الملائكة ، ج ٢ ، ص ٧٨٩ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ ، ورقمه (٧٤٢٩) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٤٠٧ .

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [(١)]
 {الزُّمَر: ٦٨} . قال رسول الله ﷺ : (كيف أنعم وصاحبُ القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمرُ بالنفخ فينفخُ ؟ فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ ، فقال لهم : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا) (٢) .
 ٤ - ملائكة الجبال :

للجبال ملائكة ، وقد أرسل الله ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد ﷺ يستأمره في هلاك أهل مكة كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : (يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (٣) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت ، فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، وسلم عليّ ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ : (بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) (٤) .
 ٥ - سوق السحب وإنزال المطر :

"إن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها ، أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها ، ولكن غير ذلك ، فإن هذا الأمر المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر الله خالقها سبحانه" (٥) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٦٩ ، انظر : علم الملائكة الأبرار ، عمر الأشقر ص ٢١ .

(٢) رواه الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور ، ص ٥٤٨ ، رقمه ٢٤٣١ ، صححه الألباني .

(٣) قرن الثعالب : مكانة بين مكة والطائف يبعد عن مكة ٨ كم ، وهو ميقات أهل نجد ، انظر : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ج ٣ ، ص ٤٢١ ، رقمه ١٧٩٥ ، وانظر : كتاب علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

(٥) علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرة ، فإذا شرجة^(١) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، ففتبع الماء فإذا رجلاً قائماً في حديقته يُحَوِّلُ الماءَ بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك ، قال : فلان ، للاسم الذي سمع من السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه ، وأكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأردُّ فيها ثلثه)^(٢) .

"ويظهر عمل الملائكة الموكلة بالقطر جلياً في سوق السحاب وإنزال المطر في الأماكن التي لجأ أهلها إلى الله طالبيين السقيا بصلاة الاستسقاء ، مما يدل على أن هذا السحاب يساق والمطر ينزل إلى المكان المطلوب" .

الخلاصة مما سبق :

من خلال ما سبق من نصوص واستدلالات نستطيع أن نأخذ وصفاً جامعاً للملائكة ، حسب مبلغنا من العلم عنهم .

فالملائكة : مخلوقات غيبية عنا ، ذات أجسام نورانية لطيفة ، لا نراهم في الحالات العادية ، قادرون على التشكل بالأشكال الجسمانية المختلفة ، ذوو قدرات خارقة ، لا حصر لهم ، من صفاتهم : مقربون على الله ، طائعون لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، لا يتناكحون ولا يتناسلون ، ولا يأكلون ولا يشربون ، إنما هم عباد مكرمون ، ويقومون بوظائف كثيرة منها : حمل عرش الرحمن ، والتسبيح بحمد الله وتعظيمه ، القتال مع المؤمنين ، حضور مجالس العلم ، كتابة الحسنات والسيئات ، قبض الأرواح ، عذاب في القبر ، وغير ذلك من الوظائف .

(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، باب الصدقة في المساكين ، ج ٤ ، ص ٢٢٨٨ ، رقمه ٢٩٨٤ .

(٢) علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، ص ٣٧٨ .

الفصل الثالث

إرسال الرحمة والعذاب

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : إرسال الرحمة .
- المبحث الثاني : إرسال العذاب .

المبحث الأول إرسال الرحمة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إرسال الرياح .

المطلب الثاني : إرسال المطر والغيث .

المبحث الأول

إرسال الرحمة

المطلب الأول : إرسال الرياح .

إن الله خالق السموات والأرض ، وإنه المتصرف الحاكم المدبر للعالم العلوي والعالم السفلي ، والمسير للإنسان وما في الكون ، وأرشد إلى دعائه ؛ لأنه على ما يشاء قدير ، ونهى عن الإفساد في الأرض وأبان أن رحمته قريبة من المحسنين ، ونبه تعالى إلى أنه الرزاق وأن أهم مصادر الرزق هو المطر الذي يترجم إلى خيرات كثيرة ويكون سبباً للنبات الحسن ، وأنه يعيد الموتى أحياء يوم القيامة كإحياء الأرض بعد موتها .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الرياح والسحب والمطر في آيات كثيرة منها قوله تعالى : [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] {الأعراف: ٥٧} ، هذا أثر من آثار رحمة الله بالخلق ، ودليل على قدرته على البعث ، هو الذي يرسل الرياح قبل المطر مبشرات بها ، فقله : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي مقدم إنزال المطر .

فإذا حملت الرياح سحاباً ثقالاً ، أي من كثرة ما فيها من الماء ، تكون ثقيلة قريبة من الأرض ، سقناه لإحياء أرض مجدبة لا نبات فيها . من المعروف علمياً أن الهواء القريب من سطح الأرض يسخن بتأثير الحرارة ، فيصعد في الجو ويبرد بتأثير منطقة باردة ، أو بالهواء البارد ، فإذا برد تكاثف منه بخار الماء ، وتكوّن السحاب ، ثم يتحرك السحاب بقوة الرياح ، ثم ينزل مطر بمشيئة الله وإرادته (١) .

"فأخرجنا به أنواع الثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها ، مثل هذا الإخراج وإيجاد أنواع النبات والثمار من الأرض بعد نزول المطر ، نخرج الموتى ونبعثهم ، وهذا يوم القيامة ، فالله قادر على كل شيء ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي" (٢) .

قلت : إن الإنزال والإنبات دليل على وجود الله وقدرته ، ومع هذا فهناك من ينكر البعث بعد ظهور أماراته .

(١) انظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ .

(٢) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، ج ٨ ، ص ١٣٣٤ .

وقوله تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] {الرُّوم:٤٦} ، فإرسال الرياح في ذاتها نعمة ، فإذا كان فيها برودة وشعرت بطراوتها فهي تبشرك بالمطر ، لذلك كان العربي يعرف المطر قبل وقوعه ويُقدّر مسافة السحابة التي ستمطره ، [وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] أي : بالمطر ، [وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ] فنسب الجريان إلى الفلك ؛ لأن للإنسان يداً فيها وعملاً فهو صانعها ومسيرها بأمر الله ، [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] أي تسيرون في البحر للصيد وطلب الرزق ، أو حتى للنزهة والسباحة ونلاحظ أن هاتين النعمتين ، إرسال الرياح وإنزال المطر ، لا دخل للإنسان فيهما (١) .

قوله تعالى : [وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا] {الفرقان:٤٨-٤٩} .

"إنزال المطر رحمة من الله لخلقه ، ليحيي به بلدة لا عمارة فيها ولا زرع ، وإحيائها يكون بنبات زرعها وشجرها ، فكما أن الماء يطهر الأبدان من الأحداث والأنجاس ، كذلك الماء يطهر الأرض من القحط والجذب ، ففي قوله : [وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا] فجمع بالماء حياة النبات والحيوان" (٢) .

إن الرياح تقلُّ السحب التي تبشر برحمة الله وهي المطر ، ويقرر العلم الحديث مدى تلازم السحب والرياح والمطر ، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك .

لقد كان الرأي السائد أن مياه المطر إنما تأتي هكذا من السماء ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن الرياح هي التي تثير السحاب الذي يوجد المطر ، حتى أثبت علم الأرصاد الجوي أخيراً ، في عصر النهضة العلمية ، أن الأصل في إثارة السحب ونزول المطر هو إرسال الرياح لتتجمع في مكان معين من الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء مؤخراً أن الرياح لا تغذي السحب ببخار الماء وحده ، بل إنها تلقحها كذلك بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق تمتصها مثل مساحيق ملح الطعام التي تتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات وتسمى تلك الجسيمات باسم " نوى التكاثف " هي المراد من كلمة " لواقح " التي جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى : [وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ] {الحجر:٢٢} (٣) ، [وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ] .

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، م١٨ ، ص١١٤٩٩ .

(٢) النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي البصري ، م٤ ، ص١٤٨ .

(٣) انظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحيم مارديني ، ص١٤٣ - ١٤٦ .

قال ابن كثير : "أي فتدر الماء وتفتح الشجر هي جمع لاقحة ، أي : وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب ، لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقحة حملت وضدها العقيم" (١) .

إلى هذا ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢) حيث يقول : يرسل الله الرياح لتلقيح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر الملقحة ، هكذا إذن تنبأ هذا الصحابي الجليل إلى دور الرياح في تلقيح السحاب من خلال فهمه الدقيق للآيات الكريمة ، مع أنها تعد من النظريات الحديثة التي توصل إليها العلماء في عصرنا هذا .

وفوق ذلك فإن للرياح دوراً مهماً آخر وهو حمل بخار الماء من سطح الأرض ورفعها إلى طبقات الجو العالية الباردة ، حيث يتكاثف بخار الماء على شكل سحب ثم يسقط على هيئة مطر ، إلى ذلك تشير الآية الكريمة ، قال تعالى : [وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ] {فاطر:٩} ، ومعنى فتثير سحاباً : أي إثارة السحاب بما تحمله من بخار الماء المتصاعد من كتلة الماء في الأرض ، فالرياح الساخنة هي المثيرة للبخار والرياح الباردة هي المكثفة له ، ثم يسوق إليه هذا السحاب بالتيارات الهوائية فتذهب إلى حيث يريد الله أن تذهب (٣) .

إذن سبحان الله ، إن الرياح نعمة من نعم الله التي لا تحصى على خلقه ؛ لذا على الإنسان أن يطيع الله فيما أمر ، ويبتعد عن جميع المعاصي .

المطلب الثاني : إرسال الغيث والمطر .

المطر والغيث كلاهما اسمان لنزول الماء من السحاب ، فكان ينبغي أن يكونا مترادفين ، لفظهما مختلف ومعناهما واحد ، وهذا هو وضعهما في معاجم اللغة . المطر هو الغيث ، والغيث هو المطر (٤) .

(١) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج ٢ ، ص ٥٦٧ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٢) ابن مسعود بن غافل بمعجمه بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن هاجر الهجرتين ، شهد بدرًا ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ .

(٣) انظر : المياه في القرآن منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية ، أحمد عامر الدليمي ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤) انظر : مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ٤٨٥ .

أما في لغة البيان القرآني فالأمر مختلف ، فمع أن المطر والغيث اسمان لنزول الماء من السماء ، فإن القرآن الكريم يفرق بينهما تفرقة واضحة ، ولناخذ أولاً في سوق الأمثلة :

* أمثلة "المطر" :

- قال تعالى : [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] {الأعراف: ٨٤} .
 - قال تعالى : [فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ] {الحجر: ٧٤} .
 - قال تعالى : [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ] {الشعراء: ١٧٣} .
 - قال تعالى : [فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ] {الأحقاف: ٢٤} .
 - قال تعالى : [... وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ ...] {النساء: ١٠٢} .
- وجميع ما ذكر من "أمطرنا" و"مطر" و"ممطرنا" مستعمل في مقام الشر والعذاب والأذى .

* أمثلة "الغيث" :

- قال تعالى : [إِنْ لَمْ يَنْزِلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لَنَبَتُنَّ مِنَ السَّمَاءِ شُجْرًا كَمَا نَبَتُنَّ مِنَ الْأَرْضِ عَلَىٰ مَاءٍ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {البقرة: ٢٢} .
- قال تعالى : [وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَبُوا ...] {الشورى: ٢٨} .
- قال تعالى : [... كَمَا تَلِي الْغَيْثُ أَكْبَابَ الْأَشْيَاءِ ...] {الحديد: ٢٠} .
- قال تعالى : [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] {القمر: ١١-١٢} .
- قال تعالى : [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {البقرة: ٢٢} .
- قال تعالى : [... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا] {الفرقان: ٤٨-٤٩} .

وما أكثر الآيات التي ذكر فيها الماء في مقام التصريح الإلهي ، أما المطر فلم يذكر قط في القرآن في مقام الإنعام على العباد ، ولهذا تنتفي صفة "الترادف" بين المطر والغيث ،

وكذلك الماء ، هكذا نجد لغة القرآن (١) .

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ...] {النور:٤٣} .

نجد أن الله ﷻ يخاطب الإنسان ، ويلفت نظره إلى أن من عظمة قدرة الله أن ينزل من السماء ماء ، وإذا ما خاطب الله الإنسان بطريقة [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ...] فهذا يدل على أن الصفة التي ستأتي بعد لفظ الجلالة هي صفة يختص بها ، الله وحده ولا شريك له بها ، والأمثلة على ذلك كثيرة فيها : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...] {النور:٤١} . إذن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان ، ثم يؤلف بينه ويجمع بين متفرقه ، فيجعل القطع المنفرقة قطعة واحدة ، فتشاهد المطر ينزل من خلال السحاب ، والسحب في تراكمها فوق بعضها أشبه بالجمال الضخمة الكثيفة فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة ... (٢) .

إذن فإنزال الماء بحيث يستطيع الإنسان والحيوان والنبات الاستفادة منه ، أمر لا تختص به إلا إرادة الله ، والمتأمل في الآية يسجل جملة ملاحظات :

الملاحظة الأولى : ظاهرة سقوط المطر ، والشاهد من هذه الآية الكريمة قوله : [فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ] {النور:٤٣} ، بمعنى البرد ، وهو حبيبات من الماء المتجمد .

الملاحظة الثانية : تسبق هذه الظاهرة حوادث ، والشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى : [يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا] {النور:٤٣} ، "أي : يبعث الله الناشئة فتتنشى السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب" (٣) .

الملاحظة الثالثة : إن هذه العمليات يجب أن تحدث بشكل متتابع ومتسلسل ، ويفصل بين الواحدة والأخرى فترة زمنية ، وبدليل استخدام حرف العطف "ثم" بين الخطوتين "يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً" ، كما تعلم أن حرف العطف "ثم" حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب والتراخي .

ولقد أكد العلم الحديث ما ذكره القرآن الكريم من أن المطر لا يسقط إلا بعد حدوث

عملية التنوية .

(١) انظر : دراسات جديدة في إعجاز القرآن مناهج تطبيقية في "توظيف اللغة" ، عبد العظيم إبراهيم محمد الموطعي ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم ، عبد الله شحاتة ، م ٩ ، ج ٨ ، ص ٣٦٣١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

إن عملية التتوية هي ، في الحقيقة ، العملية الأساسية في تكون قطرات المطر ، حيث يتكاثف بخار الماء حول ذرة غبار صغيرة جداً ، فتكون طبقة من الماء تغلف ذرة الغبار ، ثم تليها أخرى ، وهكذا ... إلى أن تتكون قطرة المطر .

ولكن قطرات المطر الناتجة عن هذه العملية تتصف بصغر وخفة وزنها ؛ لذلك فإنها لا تسقط ؛ لأن قوة جذب الأرض لها صغيرة جداً . إذن ، تحتاج قطرة المطر إلى زيادة في الوزن لكي تسقط ، فلا بد من استمرار عملية تكاثف بخار الماء على شكل طبقات ، وذلك بأن يجعل الله (القادر على كل شيء) الغيوم متراكمة . كما نعلم أن الغيوم ليست أجساماً محددة بأبعاد معينة ثابتة ، وكما نعلم - كذلك - فإن الغيم لا يشكل حاجزاً فاصلاً بين ما فوقها وما تحتها ، فهي لا تخرج عن حقيقة كونها بخار ماء ، إذن عندما تكون متراكمة لا يعني ذلك أن الغيوم سوف تترتب بعضها فوق بعض ، ولكن التراكم هنا هو تداخل الغيوم بعضها في بعض مكونة غيمة كثيفة ذات محتوى رطوبي عال ، وهذا المحتوى الرطوبي هو السبب في زيادة وزن قطرات المطر التي ستسقط على الأرض بإرادة الله ، ثم بقوة جذب الأرض ، لقوله تعالى : [وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ] {المؤمنون: ١٨} (١) .

"يذكر الله تعالى في هذه الآية نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر ، أي : بحسب الحاجة ، لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به ، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها ولا تحتمل إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى ، كما في أرض مصر ، ويقال لها الأرض الجرز ، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طيناً أحمر فيسقي أرض مصر ، ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه ؛ لأن أرضهم يغلب عليها الرمال فسبحان الله اللطيف الخبير الرحيم الغفور ، قال تعالى : [فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ] أي جعلنا الماء إذا أنزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابلية له ، وتشربه ، ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى [وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ] أي : لو شئنا أن لا تمطر لعلنا ، ولو شئنا أذى لصرفناه عنكم ، لو شئنا جعلناه أجاجاً لا ينتفع به لشرب ولا لسقي

(١) انظر : المياه في القرآن منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية ، أحمد الدليمي ، ص ٢٧ ،

لفعلنا ، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السماء عذباً فراتاً فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض فيفتح العيون والأنهار ويسقي به الزروع والثمار ، تشربون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتنظفون منه وتنظفون فله الحمد والمنة" (١) .

وقوله تعالى : [إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ] {الأنفال: ١١} .

لقد أنزل الله ﷻ من السماء يوم بدر مطراً ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ؛ لأنهم قد أصبحوا في ذلك اليوم مُجَنَّبِينَ على غير ماء ، فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان قد وسوس لهم بما حزن به قلوبهم ، حيث ثبت بذلك المطر أقدامهم (٢) .

ولقد ورد أن الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه ، وبقي المؤمنون لا ماء لهم ، فوجست نفوسهم وعطشوا وأجنبوا ، فأُنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية ، فشربوا وتطهروا ، وتلبدت السبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال (٣) ، حيث كان إنزال المطر منة أخرى من الله في وقت الحاجة ، ولقد أسند الله ﷻ الإنزال إليه لينبه على أنه أكرمهم به ، وذلك لكونه أنزله لهم في وقت احتياجهم إلى الماء ، وقد يكون إنزاله في وقت غير معتاد فيه نزول المطر (٤) .

إذن يجب علينا أن نعتقد أن إرسال المطر رحمة من الله وفيه نصره للمؤمنين ، وأن الله لا يترك نصره عباده المؤمنين ، ولو بأقل الأسباب الموجبة للنصر ، فماذا بالمطر الذي تسوخ فيه الأقدام في المعركة ، فيسبب هزيمة المشركين ؟ .

ويقرر العلم بأنه يرجع سبب نزول المطر إلى الأرض أن جاذبية الأرض لبخار الماء أقوى من سرعة انطلاق جزيئات الماء للخروج من نطاق الجاذبية ، وقد وجد أن السرعة اللازمة حتى ينطلق بخار الماء عن جاذبية الأرض هي ٢ ، ١١ كيلو متر فإن من الممكن لو زادت سرعة انطلاق جزيئات الماء عن فعل الجاذبية الأرضية أن يذهب الماء عن الأرض ، وهذا ما قرره القرآن الكريم ؛ حيث إن الله ينزل بقدر معلوم ، وإلا لغطت الفيضانات سطح

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ .

(٢) انظر : جامع البيان ، الطبري م ٦ ، ج ٩ ، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م ٤ ، ص ٢٣٧ .

(٤) انظر : تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ .

الأرض ، وهلك الناس والحيوان (١) .

وتتنوع أشكال المطر بتنوع الرياح ، فيكون المطر تبعاً لذلك على ثلاثة أنواع هي :

١- "مطر الحمل" : عند تسخين الشمس لقشرة الأرض أثناء النهار يسخن الهواء و يصعد على شكل تيارات هوائية صاعدة ، فإذا كان الهواء محملاً بكمية كافية من بخار الماء ، فإنه يتكاثف في الطبقات العليا ، وتتكون سحب كثيفة فيسقط المطر ويكون عالياً مصحوباً بعواصف رعدية .

٢- مطر الجبهات : يتكون من صعود الهواء الساخن داخل المنخفضات الجوية التي تنشأ عند تقابل كتلتين مختلفتين من الهواء ، ويسقط هذا المطر بغزارة لمدة طويلة .

٣- مطر التضاريس : عند اعتراض سلسلة جبلية أو هضبية مرتفعة للرياح المحملة ببخار الماء ، فإن الهواء يُجبر على الصعود فيبرد أو يتكاثف ، وتسقط الأمطار ؛ حيث تتوقف غزارتها على كمية الرطوبة" (٢) .

"كذلك فإن آيات ذكر الماء في القرآن الكريم لمن أقوى الدلائل على أن القرآن وحي من عند الله ؛ ذلك لأن أسرار الماء وخصائصه وكونه سر الحياة نفسها لم يكتشفه العلماء إلا بعد جهود كبيرة ، وأجيال متعاقبة ، ألا يكفي أن تكون هذه الآيات بعظمتها وأسرارها دليلاً إلى الإيمان بالله والإيمان بإرسال رسالة النبي الأمي التي نطق بها قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان" (٣) ؟ .

(١) انظر : المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، خالد فائق العبيدي ، ص ٤٤٤ .

(٢) المياه في القرآن الكريم ، أحمد عامر الدليمي ، ص ٣٤ .

(٣) المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، خالد فائق العبيدي ، ص ٤٤٢ .

المبحث الثاني إرسال العذاب

وفيه سبعة مطالب :

- المطلب الأول : إرسال الماء المنهمر .
- المطلب الثاني : إرسال الريح إلى عاد .
- المطلب الثالث : إرسال الصاعقة إلى ثمود .
- المطلب الرابع : إرسال الطير الأبابيل .
- المطلب الخامس : إرسال الرجز .
- المطلب السادس : إرسال الحاصب .
- المطلب السابع : إرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع .

المبحث الثاني

إرسال العذاب

المطلب الأول : إرسال الماء المنهمر .

نوح عليه السلام أول رسول أرسله الله بالرسالة الإلهية إلى قومه عندما تحولوا إلى عبادة الأصنام ، وأمعنوا في الضلالة والكفر ، وقد لبث نوح في قومه زمناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله ، قال تعالى : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] {العنكبوت:١٤} ، ولكن هذه المدة لم تؤت ثمارها فيهم ، فلم يؤمن برسالته إلا القليل منهم ، وكان نوح يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وكان يحذرهم من عذاب يوم القيامة الشديد : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ] {هود: ٢٥-٢٦} .

فاستمر نوح في دعوة قومه إلى عبادة الله محاولاً إقناع قومه ، ولكن أغنياء وأشراف القوم وجدوا أن التابعين لنوح من المستضعفين والفقراء ، فاشترطوا عليه كي يؤمنوا به أن يبعدهم عنه ، ويطردهم من الدعوة ، ولكن نوح أجابهم بالرفض القاطع ، وأن هؤلاء الفقراء هم المفضلون عند الله .

لم تؤت كلمات نوح في نفوس القوم أثراً ، بل ردوا عليه في عناد : "يا نوح قد خاصمتنا ، فإن كنت صادقاً في دعوتك فهات ما تهددنا به من العذاب" : [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] {هود: ٣٢-٣٤} .

ولم تترك دعوة نوح في قومه إلا أثراً ضئيلاً ، كما صرح القرآن : [... وَمَا أَمَنَّ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] {هود: ٤٠} ، أما الأكثر فقد تبرموا من دعوته وكذبوه : [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ] {القمر: ٩} ، كما هددوه بالرجم : [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] {الشعراء: ١١٦} ، ولكن نوحاً لم يبال بهذا التهديد ، بل استمر في دعوته إلى الله لقوله تعالى : [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي

وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [(يونس: ٧١-٧٢) .

بعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده في سبيل هداية قومه ، بعد أن ضاقت في وجهه كل السبل لإصلاحهم ، عندئذ لجأ إلى ربه يشكو قومه^(١) : [قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {الشعراء: ١١٧-١١٨} .

أي : "احكم بيني وبينهم حكماً [وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] ، فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له"^(٢) .

[وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] {نوح: ٢٦-٢٧} .

قال قتادة^(٣) : "إن نوح لم يدع بهذه الدعوة إلا من بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، ودياراً أصله ديوار من الدوران ، أي : من يجيء ويذهب"^(٤) .
استجاب الله لدعاء نوح ، وأراد عليه السلام قبل أن يهلك قومه المكذبين أن يهيئ له وللمؤمنين برسالته أسباب النجاة ، فأوحى إليه أنه لن يؤمن أحد سوى من آمن ، وأمر الله نوحاً أن يصنع سفينة النجاة ، وأعلمه أنه سيكون أثناء صنعها محاطاً بعنايته مشمولاً برعايته، ونهاه أن يدعو للكفار بالنجاة بعد أن أصروا على كفرهم ؛ لأنه حكم عليهم بالغرق .

شرع نوح في صنع السفينة ، وتعجب الكفار منه وسخروا منه : [وَأَوْحِيَ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ * وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] {هود: ٣٦-٣٩} .

(١) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ، ص ٦٤ ، ٦٧ .

(٢) فتح القدير ، الشوكاني ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .

(٣) قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي ، ثقة ثبت هو رأس الطبقة الرابعة ، مات سنة بضع عشرة ومائة ، انظر : تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، ص ٧٩٨ .

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، سيدي الثعالبي ، ج ٣ ، ص ٣٨٨ .

وقد كانت سجايهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا ، وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضاً ، قال رسول الله ﷺ : (يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت ، فيقول نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ، فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك فيقول محمد وأمته ، فتشهدون أنه قد بلغ)^(١) .

بدء الطوفان :

أتم نوح صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب وهي تفجر الماء من الأرض^(٢) ، فأمر الله نوحاً أن يحمل من كل صنف من الأحياء والحيوانات زوجين ، ذكراً وأنثى ، ليحملها معه في السفينة ، لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتاسل ويبقى نوعها على الأرض ، قال تعالى : [حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] {هود:٤٠} "تلك الأعداد القليلة التي حملت على المركب ، كانت في أصلابها كل الشفرات الوراثية لكل الأبناء والبنات والأنساب التي جاءت من بعد نوح ﷺ والذين كانوا على هذه المركب .

وأخبرنا القرآن أن نوحاً دعا ربه بأن ينتقم من قومه فاستجاب الله دعاءه ، لقوله تعالى : [فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَوَدُسْرٍ]^(٣) {القمر: ١٠-١٣} .

"أي دعا نوح ربه : إن قومي قد غلبوني تمرداً وعتواً ولا طاقة لي بهم فانتنصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك [فَفَتَحْنَا] لما دعانا نوح مستغيثاً بنا على قومه [أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ] أي ينصب إنصباباً شديداً ، [وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا] : فجرنا الأرض الماء جاء من السماء [فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] فاللتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قدره الله وقضاه ، وهو هلاكهم غرقاً"^(٤) .

ونجّ الله قوم نوح ، لقوله تعالى : [فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] {الشعراء: ١١٩-١٢١} .

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء ، ج ٣ ، ص ١٣٤

(٢) انظر : القصص القرآني ، أحمد الكبيسي ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، زغلول النجار ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٤) جامع البيان ، الطبري ، ج ١٣ ، ص ٨١٣٢ .

حينئذ أمر الله الأرض بابتلاع الماء ، والسماء بالتوقف عن المطر ومنعه ، ما هو إلا أمر وامتنال ، لقوله تعالى : [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {هود:٤٤} .

يخبرنا الحق ﷻ أنه لما أغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تبتلع ماءها الذي نبع منها ، واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تقلع عن المطر . قال قتادة : قد أبقى الله سفينة نوح على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة ، كم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت (١) .

قال الإمام الطبري : "ذلك أن كل من على الأرض من بني آدم فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة" (٢) .

إذن صدق الله وعده ونصر رسوله محمداً ﷺ على أعدائه ، كما نصر نوحاً من قبل ، هذا من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله ؛ لأن الله أخبر عن أمور غيبية .

دروس وعبر من هلاك قوم نوح

١- إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى الصبر الطويل ، والروح المرنة والحوار الهادئ ، والصبر الجميل على الافتراءات الكاذبة ، والاتهامات الباطلة ، ولقد صبر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وهو يُرمى بالجنون والضلال والبطش والرديلة ، ولكنه كان يقابل ذلك بالصبر الجميل على إيذاء قومه ، ولقد فتح أبواب الحوار مع الآخرين ، بغية تبديل مفاهيمهم حول الإسلام ، وإعطائهم صورة صادقة عن عدالة الإسلام وسماحته ، هذا ما سلكه نوح ﷺ في حوارهِ مع قومه ، وهذا ما دعا إليه القرآن : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] {النحل:١٢٥} .

٢- إن جميع الناس سواسية عند الله ، لا فرق بين غني وفقير ، ولا بين قوي وضعيف ، ولا بين ذكر وأنثى ، ولا بين أسود وأبيض ، وقد وضح الله ذلك في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] {الحجرات:١٣} (٣) .

(١) انظر : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، أحمد جمال العمري ، ص ١٢٨ .

(٢) تبصير المؤمنين بفقهِ النصر والتمكين في القرآن الكريم ، علي الطلابي ، ص ٥٥ .

(٣) انظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٢٥ ، ص ٢٤٨ ، وانظر : تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، م ١٢ ، ج ٢٥ ، ص ٢٥٨ ، وانظر : النكت والعيون ، الماوردي ، ج ٥ ص ٣٣٥ .

٣- وفي قصة نوح يعرض لنا القرآن مثلاً حياً على ذلك ، فنوح تأخذه عاطفة الشفقة على ولده فيطلب من ربه أن ينجي ابنه من الهلاك ، فيعاتبه الله على ذلك ويعتبر عمله من الجهل الذي لا يليق أن يتصف به : [وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] {هود: ٤٥-٤٦} ، والذي ينشده القرآن من ذلك توجيه الإنسان على أن أعماله الصالحة هي المعوّل عليها في نيل السعادة في الآخرة ، وأنه ليس للشفاعات والقربابيات أي تأثير في نجاته من عذاب الله إن كان عاصياً ، وهذا ما أكدته القرآن أيضاً : [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ] {التَّحْرِيم: ١٠} ، فسبب هلاك امرأة لوط وامرأة نوح هو انحرافهما عن الطريق المستقيم (١) .

٤- إن الله ﷻ أمر نوحاً ﷺ بصناعة السفينة ، ولقد امتثل نوح لأمر الله ، وصنع السفينة بيديه في ذلك إشارة إلى الحث على الصناعة ، إذ كانت سفينة نوح مؤلفة من أخشاب ومسامير [وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ] {القمر: ١٣} ، وهذا يعني أن نوحاً ﷺ قد استحضر موادها الأولية وألف بينها حتى صارت سفينة صالحة للإبحار .

٥- كانت سفينة نوح أول حديقة حيوان يحافظ فيها على النوع بأمر من الله ، [قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] {هود: ٤٠} ، وهذه إشارة إلى العناية بالحيوانات ، وعدم نسيانها في غمرة الطوفان .

٦- إن طوفان نوح من أبرز الحوادث التاريخية وأشدّها وقعاً في النفس الإنسانية من حيث إنه من أفسى العقوبات التي عاقب الله بها الكفار ، فيها دليل على قدرة الله وعظمته ، لقوله تعالى : [وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا] {الفرقان: ٣٧} ، أي أهلكنا قوم نوح بالغرق (٢) .

(١) انظر : الفتوحات الإلهية ، سليمان الشافعي الشهير بالجمل ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٢) انظر : مع الأنبياء ، عفيف عبد الفتاح طباره ، ص (٧٥-٨١) ، وانظر : أضواء البيان في إيضاح

القرآن بالقرآن ، محمد الأمين المختار ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

المطلب الثاني : إرسال الريح إلى عاد .

كان من قبيلة يقال لها : عاد بن عاص بن سام بن نوح عليه السلام وهم عاد الأولى ، أو عاد إرم ، وهم من العرب العاربة ، أي : الذين كانوا قبل زمن إسماعيل عليه السلام ، وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل عليه السلام وكان زمن عاد بعد قوم نوح على الصحيح من الأقوال ، وهم المعنيون بقول الله تعالى : [ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] {المؤمنون: ٣١} (١) .

وأجمع جمهور مؤرخي المسلمين على أن عاداً كانت تقطن الأحقاف وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذات الأعمدة الضخام ، كما قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ] {الفجر: ٦-٧} .

أرسل الله هوداً إلى قوم عاد لكي يهديهم لعبادة الله وحده لا شريك له ويتركوا عبادة الأصنام ، ولكن قوم عاد رفضوا بإصرار أن يتركوا عبادة الأصنام ؛ لأنهم اعتقدوا أن الأصنام شركاء لله وأنها تشفع لهم عند الله وما كان منهم إلا أن كذبوا هوداً ووصفوه بالسفه والطيش والكذب ، ومع ذلك ظل هود يدعو قومه لعبادة الله مدة طويلة وكان ينصحهم بترك الأصنام وألا يكونوا مثل قوم نوح ، ولكن أصروا على الكفر والشرك فكانت نهاية هؤلاء القوم عجيبة غريبة ، تمثلت في نجات المؤمنين وهلاك الظالمين على وجه العموم لقوله تعالى : [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ] {هود: ٥٨-٦٠} .

فراوا عارضاً في السماء وظنوه سقيا رحمة ، فإذا هو سقيا العذاب ، ولهذا قال تعالى : [بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ] {الأحقاف: ٢٤} ، أي : من وقوع العذاب ، ولكن السحابة لم تكن سحابة وإنما كانت عاصفة هوجاء تقتلع المباني والأشجار ، وتحمل الأشياء والأشخاص كالقش وتعصف بهم عصفاً وتقذف بهم إلى مكان بعيد .

وانحبس المطر عن قوم هود ثلاث سنين بعد دعوتهم إلى الهدى وإعراضهم عنه ، وكان هذا إنذاراً بقرب حلول العذاب عليهم ، وفي هذه الأثناء كان هود لا يفتأ يعظ قومه ويقول لهم : ادعوا خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ثم ارجعوا إليه بالتوبة ، وإياكم أن تعرضوا عما أدعوكم إليه وتصروا على الكفر والإجرام ، قال تعالى على لسان هود :

(١) انظر : حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية ، عبد الحكم الصعيدي ، ص ٧٢ .

[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ] {هود: ٥٢} .

بعد انحباس المطر ثلاث سنين جاء أمر الله بإنزال العذاب بقوم هود بعد أن جحدوا رسالة نبيهم واستمروا على كفرهم وطغيانهم لقوله تعالى : [فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ] {الأحقاف: ٢٤-٢٥} (١) .

لقد أرسل الله عليهم ألواناً من العذاب في الدنيا ، فصلها على النحو التالي :

١- الرجس والغضب : قال الله تعالى : [قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ] {الأعراف: ٧١} ، [قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ] أي قد نزل عليكم ، فقد جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ، " قد كان من ربكم رجس عذاب وغضب " (٢) .

٢- الصيحة : قال الله تعالى : [فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {المؤمنون: ٤١} ، أي كانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي البارد ، قال تعالى : [تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ] {الأحقاف: ٢٥} ، وقوله : [فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {المؤمنون: ٤١} "أي صرعى هلكى كغناء السيل ، وهو الشيء الحقيقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه (٣) " .

٣- الريح المدمرة : قال تعالى : [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ] {فصلت: ١٦} ، معلوم أنها ثمانية أيام متتابعات ، فلو كانت نحسات في أنفسها ، لكان جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤومة ، وهذا لا يقوله أحد ، وإنما المراد (في أيام نحسات) أي مشؤومات عليهم" (٤) ، قول الله تعالى : [وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ] {الذاريات: ٤٢-٤٣} "وهي التي لا خير فيها ولا بركة

(١) انظر : محاسن التأويل ، للقاسمي ، ج ١٥ ، ص ٥٣٥٣ ، ٥٣٥٤ ، روح المعاني ، الألوسي ، م ١٤ ، ج ٢٥ ، ص ٤٠ . انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طبارة ، ص ٨٧ ، ٩٠ .

(٢) تفسير النسفي ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ . انظر : سنن القرآن في الحضارات وسقوطها ، محمد هيشور ، ص ٢٢٧ .

(٤) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ص ٧٣ .

ولا تفتح شجراً ولا تحمل مطراً إنما هي ريح الإهلاك والعذاب ، ثم وصف ﷺ هذه الريح فقال : [مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ] أي ما تذر من شيء مرت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا جعلته كالشيء الهالك البالي " (١) ، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور) (٢) ، الصبا : ريح تهب من الشرق ، الدبور ضد الصبا ، أي : تهب من الغرب ، وهي التي أهلكت عاداً (٣) .

قال الله تعالى : [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] {القمر: ١٩- ٢٠} ، "أي يوم نحس عليهم ، مستمر عذابه عليهم ، تنزع الناس نقلعهم ، روي أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كأنهم أعجاز نخل منقعر ، أي منقلع عن مغارسه ، قيل شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع ؛ لأن الريح كانت نقلع رؤوسهم فتبقي أجساداً وجثثاً بلا رؤوس " (٤) .

قوله تعالى : [وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ] {الحاقة: ٦- ٨} "سخرها عليهم : أي سلطها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام ، وهي التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة ، وقيل : سميت عجوزاً ؛ لأنها في عجز الشتاء ، وقيل : سميت بذلك ؛ لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب ، "حسوماً" قال مجاهد (٥) : أي كوامل متتابعة ليس لها فتره (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والأيام (صرعى) هلكى جمع (كأنهم أعجاز نخل خاوية) ساقطة ، وقيل : خالية الأجواف " (٦) .

(١) فتح القدير ، الشوكاني ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : " وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته " ج ٢ ، ص ٧٨٧ .

(٣) انظر : مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ١٩٧ ، ص ٣٥٦ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد أبو السعود ، ج ٦ ، ص ٢٤٠ .

(٥) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب ، كان فقيهاً ورعاً عابداً قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت ، توفي سنة ١٠٣ هـ ، كتاب طبقات الحفاظ ، جلال الدين السيوطي ، ص ٤٢ .

(٦) معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ .

كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال : (اللهم إني أسألك خيرا وخير ما فيها ،
وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت بها (١)) .

دروس وعبر من هلاك قوم عاد

١- من روائع توجيهات القرآن لبناء أمة متماسكة سليمة دعوته إلى الاعتدال في المعيشة ،
والنهي عن الإسراف والبطر ، وذلك بما ورد على لسان هود : [أَتَّبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً
تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ] {الشعراء:١٢٩} ، أي يقول هود لقومه : لماذا هذا
الإسراف في بناء القصور الفخمة في الأماكن المرتفعة ، أليُعرف بذلك أغناكم كأنكم
ترجون الخلود في الأرض (٢) ؟ .

٢- مهما أوتي الإنسان من نعم ، وعاش في خيرات وتمتع بالقوة ، فينبغي أن يعلم أن مصدر
ذلك كله هو الله ، ومقتضى ذلك العلم أن يؤدي شكر هذه النعم ؛ لأن شكرها يؤدي إلى
زيادتها ، كما قال تعالى : [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] {إبراهيم:٧} ، وكذلك فإن
كفر هذه النعم يعرضها للزوال لقوله تعالى : [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا
رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ]
{النحل:١١٢} . وانطلاقاً من ذلك كان نداء هود لقومه : [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ] {هود:٥٢} ، والشكر
له شطران ، أحدهما : أن تحمد الله على ما أعطاك بأفوالك ، وثانيهما : أن تمارس عملاً
يؤدي إلى الشكر مثل شكر نعمة المال ، يكون بإنفاقه في الخير ، وشكر نعمة العقل
يكون بالتفكير الصحيح .

٣- يذم الله قوم عاد لأنهم اتبعوا أوامر جبارتهم ، والتي بسببها استحقوا الهلاك
والطرد من رحمة الله : [وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ]
{هود:٥٩-٦٠} .

"إذن قوم عاد جحدوا بكل هذه الآيات ، جحدوا الإيمان ، وجحدوا تصديق الرسول
بالمعجزة ، وأهملوا وتركوا منهج الله جحدوا بإعراض (٣) " .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الاستسقاء ، باب التعود عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(٢) انظر : في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، م ٤ ، ج ١٩ ، ص ٣٤٤٢ .

(٣) تفسير الشعراوي ، م ١١ ، ص ٦٥٢٠ .

٤ - الاستعلاء في الأرض عاقبته الهلاك ، إن في قصة هود بياناً للعاقبة الوخيمة التي تنتظر الأمم المستكبرة الطاغية ، فالقرآن يصف قبيلة عاد بقوله : [فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ] [فصلت: ١٥-١٦] ، فقبيلة عاد استكبرت في الأرض وغرتها قوتها فأعرضت عن هدى الله وطريق الحق فأصابها الذل والهلاك ^(١) ، إذن إن ما كانت تدعيه (عاد) تدعيه الآن دول العالم بعدما وصلت إليه من الثراء والقوة ، فأعرضت عن سبيل الحق وعن أوامر الله ، واستعبدت الشعوب الفقيرة المغلوبة على أمرها .

المطلب الثالث : إرسال الصاعقة إلى ثمود .

هلكت عاد بذنوبها وكان هلاكها بالعواصف والرياح لقوله تعالى : [أَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ] [الفجر: ٦-٧] ، واستأنفت الحياة دورتها بعدهم ، وخلفت ثمود عاداً على ديارهم فعمروها أكثر مما عمروها ، فجروا العيون ، وغرسوا الحدائق والبساتين ونحتوا الجبال بيوتاً ، لقوله تعالى : [وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ عَادٍ بَنِي آدَمَ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] [الأعراف: ٧٤] .

"أي تذكروا إذ جعلكم الله خلفاء لعاد في الحضارة والعمران والقوة والبأس ، وبوأكم في الأرض ، أي أنزلكم فيها وجعلها مباءة ومنازل لكم : تتخذون من سهولها قصوراً زاهية ودوراً عليية ، بما حذقتهم بإلهامه تعالى من فنون الصناعة كضرب الأجر ^(٢) ، واللبن ^(٣) ، والجص ^(٤) ، وهندسة البناء ، ودقة النجارة ، وتحتون الجبال بيوتاً بما علمكم من فن النحت ، وآتاكم من القوة والصبر" ^(٥) .

(١) انظر : وانظر : جامع البيان ، الطبري ، ج ١٢ ، ص ١١١ ، مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طبّاره ، ص (٩٨-١٠٠) .

(٢) الأجر : طيبخ الطين وهو الذي يبني به ، هذا اللفظ فارسي معرب . لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٤ ، ص ١١ .

(٣) اللبن : المضروب من الطين مربعاً للبناء ، واحده لبنة ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ج ٩ ، ص ٣٢٨ .

(٤) الجصّ : ما يطلى به البناء . انظر : القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٥) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، م ٤ ، ج ٨ ، ص ٤٤٨ .

وبعث الله إلى ثمود صالحاً عليه السلام وهو من أشرفهم نسباً ، وأوسعهم حلماً وأصفاهم عقلاً ، فدعاهم إلى عبادة الله وحضهم على توحيده ، قال تعالى : [يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] {هود: ٨٤} ، ولكن قومهم صموا آذانهم ، وغلقوا قلوبهم ، فعميت أبصارهم ، وأنكروا نبوته فما زاده ذلك إلا إصراراً وعزيمة ، لقوله تعالى : [أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ * فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ] {الشعراء: ١٤٦-١٥٢} .

وهذه العناصر تبين مواهبهم في فن الزراعة من إقامة الحدائق ، وغرس الجنان والبساتين ، وتترك الدلالات المختلفة للتعبيرات القرآنية على هذه الحضارة انطباقاً قوياً بالمهارة الخارقة ، والبراعة الحاذقة لأولئك القوم ، وتأمل هذا التعبير (فارهيين) أي حاذقين في نحتها ، وهي دلالة على قوتهم في الفن والمهارة في النحت كما توحى كلمة (هضيم) بأن ثمار النخيل ناضجة لينة لطيفة سهلة الهضم ، وكلمة (جنات) تشع بالرفاهية والسعادة لأولئك الأقوام ، وهي المفهوم من قوله عليه السلام : [أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ] ؛ لأن الأمن يحمل السعادة والنعيم ، والمراد : أتتركون في هذا كله من جنات وزيروع متنوعات ، ونخل جيدة الطلع ، سهلة الهضم حتى كأن جناها مهضوم لا يحتاج إلى جهد في البطون ، وتتركون في البيوت تحتونها في الصخور بمهارة وبراعة ، وفي أناقة وفراهة ^(١) ، إلا أن ثمود سلكوا نفس المسلك الذي سلكته عاد من الكفر بنعم الله ، ومخالفة الرسول الذي أرسل إليهم هو صالح عليه السلام .

وأدرك الرافضون لدعوة صالح ونبوته أن حجتهم قاصرة إلى جانب حجته ، ولاحظوا أن عدد المؤمنين به يزداد ، فخافوا من تطور الأسر وزوال دولتهم ونفوذهم وأرادوا أن يظهره للناس بمظهر الفاجر ، فطلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة تثبت صدق دعوته ، وأشاروا إلى صخرة عظيمة وقالوا : أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حقيقية ، وذلك من باب السخرية أو التحدي ، دعا صالح ربه فاستجاب الله دعاءه ، فتمخضت الصخرة عن ناقة ، مثيرة الشكل وأمرهم ألا يمسوها بسوء ، فلا تعذب ولا تطرد ولا تركب ولا تدبح ، لقوله تعالى : [قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] {الأعراف: ٧٣} .

(١) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، م ٦ ، ج ١٩ ، ص (١٢٣١-١٢٣٢) ، وفتح القدير ، الشوكاني ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .

لم يطق الأشرار احتمال هؤلاء المؤمنين أو وجود الناقة بينهم ، ولعلها كانت ضخمة الجسم فأرهبت أنعامهم ، ولعلمهم أفرعهم أن يكثر المؤمنون بسبب هذه الناقة ، هذا كله دفعهم إلى قتلها بالرغم من تحذير نبيهم بالعذاب ، وتوعده إياهم بالهلاك إن مسوها بسوء ، ولكنهم أقدموا على ذبح الناقة ، فطلبوا من نبيهم أن يعجل لهم العذاب الذي هددهم به :

[قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَاْفِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]

{الأعراف: ٧٥-٧٩} ، وتأمروا على قتل صالح عليه السلام (١) .

فالكثرة المستكبرة هم الذين يعاندون ويكابرون دائماً ، حيث بينت هذه الآية أن الأشراف والرؤساء تكبروا عن الحق ، والمستضعفون مؤمنون بما جاء به صالح من توحيد الله والخبر عنه ، أمره ونهيه ، أما الذين استكبروا فحملهم الكبر على ألا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء فاستكبروا عن أمره فأذاقهم العذاب الشديد (٢) .

إذن نصح الرسول ﷺ أمته بعدم التكبر كالأمم السابقة ؛ لأن كل متكبر في نار جهنم لحديث الرسول ﷺ : (... ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ (٣) متكبر) (٤) .

لقد كانت نهاية هؤلاء القوم نهاية أليمة ، وعاقبتهم عاقبة وخيمة ، فلما بلغ السيل الزبى ، وعقر هؤلاء القوم الناقة ، وهموا بقتل نبي الله صالح ، وأصروا على الكذب قال لهم نبيهم : لكل أمة أجل ، قال تعالى : [فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ] {هود: ٦٥} .

هلاك الكافرين :

وقد أرسل الله تعالى على قوم صالح عليه السلام صاعقة من عنده وصيحة وصاعقة قوية فتركتهم حصيداً خامدين [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ] {الذاريات: ٤٤} ، فالصاعقة : هي

(١) انظر : القصص القرآني ، أحمد الكبيسي ، ص ٤٢-٤٤ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٥٧-٢٥٨ ، والاستكبار في الأرض ، د. زكريا الزميل ، ص ١٥ .

(٣) عتل : الشديد الجافي ، والفظ الغليظ من الناس ، كتاب غريب الحديث ، ابن الأثير ، ص ٥٩٢ .

جواظ : الجموح المنوع ، وقيل : كثير اللحم المختال في مشيته ، ابن الأثير ، ص ١٧٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب عتل بعد ذلك زعيم ، ج ٣ ، ص ١٢٥٥ .

نار تسقط من السماء في رعد شديد ^(١) ، " وهي عبارة عن استفراغ كهربائي يحصل بين كهربائيتين متخالفتين سالبة وموجبة ، فإذا دنت سحابة ذات كهربائية موجبة من الأرض فحين دنوها تحصل الكهرباء بالتأثر وتتصل بالكهربائية السالبة في الأرض ويكون الاستفراغ أو الاتحاد في جسم ما على الأرض فيحترق إذا كان شجراً أو إنساناً ، ويتفتت إن كان صخراً ، وينهدم إن كان بناء ، ومبلغ ما تدمره الصاعقة منوط بمقدار كمية الاستفراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين " ^(٢) .

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ، ورجفة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس ، وخشعت الأبصار ، فأصبحوا في دارهم جاثمين ، جثثاً لا أرواح فيها ولا حراك بها ، وقد سجل القرآن الكريم لصالح موقفه الأخير من قومه ، فقد خاطبهم بعد هلاكهم قائلاً : [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] ^(٣) {الأعراف: ٧٩} .

دروس وعبر من هلاك قوم ثمود

١- ينبغي للداعية إلى الله أن يخاطب المدعويين بمنطق الأخوة الإنسانية لقوله تعالى : [وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ...] {الأعراف: ٦٥} ، [وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ...] {الأعراف: ٧٣} ، [وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ...] {الأعراف: ٨٥} ، [إِذِ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ] {الشعراء: ١٦١} .
الأنبياء جميعاً إخوة لأقوامهم ، تربطهم معهم الأخوة الإنسانية .

٢- ذم الله قوم ثمود لأنهم اتبعوا أوامر جبابرتهم والتي بسببها استحقوا الهلاك والطرده من رحمة الله .

٣- إن الحضارة بمظاهرها المدنية لا بد أن يسخرها الإنسان في ظل العبودية لله ، وفي هذا الظل تنمو وتزدهر ، أما الحضارة التي يسخرها الإنسان في ظل العبودية للإنسانية والأهواء ، ويستخدم ثمراتها في ممارسة الجبروت والطغيان فإن مآلها إلى الزوال لقوله تعالى : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ] {الفجر: ٦-٨} ، وقوله : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ] ^(٤) {الفيل: ١} .

(١) مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ٣٦٣ .

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ، ص ٩٦ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٤) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ، ص ٩٨-١٠٢ .

المطلب الرابع : إرسال الطير الأبايل .

كان أبرهة نصرانياً مثل ملوك الحبشة وأهلها وكان متعصباً لدينه ، فيه حقد شديد على من حوله وكان عدواً لكل من يخالف دينه وعقيدته ، وكان أهل اليمن متمسكين بأصلهم العربي رغم قسوة أبرهة وشدته عليهم ، وكانوا يحبون الكعبة لأنها عربية ، بناها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وكانت ترتاح نفوسهم عندما يزورون الكعبة ، ولم يكن الإسلام قد ظهر ، ولما رأى أبرهة أهل اليمن يهتمون كل هذا الاهتمام بالكعبة ، فكر أبرهة الأشرم في حيلة ووسيلة يصرف بها الناس عن مكة ، ويجذب بها قلوبهم نحو اليمن ^(١) ، فأمر أبرهة ببناء كنيسة فخمة في صنعاء ، ثم راح يزيناها ويزخرفها كي تحلو في عيون العرب ، وينصرفوا عن مكة وينسوها ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث أبداً ، فقد كره العرب كنيسة أبرهة فبقيت الكنيسة مهجورة ، وهدد أبرهة وتوعد واغتاز ؛ لأنه فشل في جذب العرب نحو كنيسته ، فأقسم أن يهدم الكعبة ، فحشد آلاف الجنود ، وأعطاهم السلاح والعتاد واتجه بجيشه صوب مكة ، وجعل مقدمة الجيش فيلاً ضخماً ، وقال : هذا الفيل هو الذي سيهدم الكعبة ^(٢) .

فعرف العرب بقدومه وبنيتيه في هدم الكعبة ، فثاروا وغضبوا ، وفكروا في الوقوف في وجه هذا الرجل الظالم ، ووقعت بينهم وبين أبرهة بعض المناوشات إلا أن جيش أبرهة كان قوياً ، أرسل بعض جنوده ، فاستولوا على أموال قبيلة من قريش وغيرها ، كما استولوا على مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم سيد مكة ، في أثناء تلك الحالة المضطربة في مكة وفد إليهم وفد من رجال أبرهة يتساءلون عن سيد مكة ، فأتي بهم إلى عبد المطلب ، فلما رآه أبرهة أكرمه وأجلسه إلى جواره ، فسأل أبرهة عبد المطلب عما يريد منه فقال عبد المطلب لأبرهة حاجتي منك هي أن تعيد لي مائتي بعير أخذها جنودك ، فقال أبرهة : كنت معجباً بك يا عبد المطلب حين رأيته ، ثم غيرت هذا الإعجاب عندما وجدتك تكلمني في مائتي بعير أخذتها منك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ، وجئت هنا لهدمه ، فقال عبد المطلب في هدوء وثقة : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيحيمه ، كان عبد المطلب على علم ويقين بأن هذا البيت لن يصاب بأذى ، حتى لو جاء أبرهة بعشرة جيوش أما أبرهة المتكبر المتعطرس الجاهل ، فقد كان ينظر إلى جيشه القوي ، الذي ظن أنه به سيهدم البيت ، ظن أن البيت كالأصنام التي كان يعبدها الناس ، عبأ أبرهة قواته وجهزها ، وأصدر أمراً لرجالها

(١) انظر : من القصص القرآني ، عبد المنعم الهاشمي ، ص (٢٥٧- ٤٥٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٥٨٧ .

أن يهجموا بالفيل في اتجاه الكعبة ويهدموها ، لكن الفيل امتنع عن ذلك رغم ضربه بالعصي والسياط ، والعجب أن رجال أبرهة كانوا إذا وجهوا الفيل اتجاهاً غير الكعبة ، أسرع دون توقف ، يجري هنا وهناك ، وفجأة ظهرت في السماء أسراب من الطيور الكثيرة " (١) تحمل في مناقيرها حجارة صغيرة من طين متحجر ، كأنها رصاصات ثقيلة لا تصل إلى أحد إلا قتلته " (٢) ، "وأخذت ترمي جيش أبرهة فهشمت رؤوسهم وفجرت الدماء في أجسادهم، وأصاب أبرهة شيء مما أصاب جنوده ، فأمر بقية الأحياء من جيشه بالعودة إلى اليمن ، وما إن وصل أبرهة إلى صنعاء حتى مات متأثراً بما أصابه" (٣) ، لقوله تعالى : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] {الفيل: ١-٥} ، أي ألم يبيلغك يا محمد وتعلم علماً يقينياً ماذا صنع الله بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت ، [أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ] أي : أضل كيدهم عما أرادوا من تخريب الكعبة ، [وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ " جماعات جماعات ، [تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ] طين مطبوخ .

"قال بعض العلماء : أي من طين متحجر محرق ، هو من جملة العذاب" (٤) ، المكتوب المدون في السِّجِّيل ، وهو الديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار ، وعن عكرمة (٥) كانت ترميهم بحجارة ، فإذا أصاب أحدهم حجر منها ، خرج به الجدي ، وكان ذلك أول يوم رئي فيه الجدي بأرض العرب . قال ابن عباس : كان الحجر إذا وقع على أحدهم نقط جلده ، أي : احترق ؛ فكان ذلك أول الجدي ، وقيل : إن أول ما رؤيت الحصة والجدي بأرض العرب ذلك العام" .

[فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] "كزرع أكلته الدواب فداسته وفتنته" (٦) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ٢٠ ، ص ١٣٠ ، وقصص الأنبياء ، محمد جاد مولى .

(٢) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، م ٣ ، ص ٦٠٥ .

(٣) القصص القرآني ، أحمد الكبيسي ، ص ٢٢٦ .

(٤) قصة في القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، ج ٢ ، ص (٣٢٩ ، ٣٣٠) .

(٥) عكرمة مولى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، يكنى أبا عبد الله ، وكان عكرمة كثير الحديث والعلم ، بحراً من البحور ، ويتكلم الناس فيه . مات عكرمة سنة سبع ومائة ، وقيل : سنة ست ومائة . طبقات ابن سعد ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ .

(٦) انظر : جامع البيان ، الطبري ، م ١٢ ، ج ٣٠ ، ص ١٩٣ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن أحمد الواحدي ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ . .

المطلب الخامس : إرسال الرجز .

"الرجز يُعنى به العذاب ، وقيل الطاعون" (١) ، يقول تعالى لائماً بني إسرائيل على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة ، لما قدموا من بلاد مصر فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل ، وقتل من فيها من العماليق الكفرة ، وضعفوا فرماهم الله في النية عقوبة لهم ، لقوله تعالى : [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ] {المائدة:٢١} .

أنزل الله الرجز من السماء عليهم ، وسبب هذه العقوبة خروجهم عن أمر الله وفسقهم عن شرعه ، وتحريفهم لما طلب منهم ، حيث طلب الله منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم متواضعين ساجدين محسنين حتى يغفر الله لهم خطاياهم ، وأمرهم بأن يقولوا : "حطة" وهذا القول كناية عن التواضع والتذلل لله ، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم وقالوا : "حنطة في شعيرة" ، وبدلاً من أن يدخلوا ساجدين دخلوا زاحفين على أستاهم ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم . روى البخاري عن النبي ﷺ قال : (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة) (٢) ، "فاستحقوا بهذا الفسق رجزاً من السماء" لقوله تعالى : [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] {البقرة:٥٩} (٣) .

دروس وعبر من إرسال موسى ﷺ إلى بني إسرائيل

١- إن الله ﷻ أنعم على بني إسرائيل ؛ إذ نجاهم من آل فرعون وأغرق آل فرعون وهم ينظرون ، وأورثهم الأرض بعد إهلاك عدوهم ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة .

٢- برزت في معاناة نبي الله موسى مع بني إسرائيل ثلاث صفات شنيعة لبني إسرائيل :
أ- سوء أدبهم مع الله ؛ إذ قالوا للموسى : [قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] {المائدة:٢٤} ، وهذا يدل على سوء الأدب مع الله ، وكان الله رب موسى وليس رباً لهم .

(١) تفسير الجلالين ، ص ٩ ، مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ٢٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٦٨ .

ب- سوء أدبهم مع موسى إذ قالوا : [أَتَّخِذُنَا هُزُؤًا] {البقرة:٦٧} ، وكان ما بلغهم به وأخبرهم إياه قبل ذلك لم يكن حقاً ، وقد تطورت هذه الصفة فيما بعد إلى أنه إذا جاءهم رسول بغير ما يريدون ، إما أن يكذبوه وإما أن يقتلوه ، وقد ذمهم الله بقوله : [أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ] {البقرة:٨٧} ، وما زال سوء الأدب مع الأنبياء سمة من سماتهم .

ج- جبنهم وخوفهم من الجهاد في سبيل الله ، وقتال الجبابرة ، وقد أخذ المسلمون درساً من هذه القصة ، وسجلوا موقفاً رائعاً شجاعاً يوم بدر ، إذ قالت الأنصار لرسول الله ﷺ : (والله لو خضت بنا برك الغماد ، لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى : [فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] {المائدة:٢٤})^(١) .

المطلب السادس : إرسال الحاصب .

التعريف بقوم لوط :

لقد كان قوم لوط يسكنون "سدوم" بالقرب من البحر الميت ، وكان أهلها كافرين بالله ، ويرتكبون المعاصي والفواحش ، وقد وصفهم الإمام ابن كثير فقال : إن أهلها من أفجر الناس وأكفرهم ، وأسوأهم ، وأردئهم سريرة وسيرة ، كانوا يقطعون السبيل ، ويأتون في ناديم المنكر ، ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ، فابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكران من العالمين ، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين ، وفضلاً عن ذلك كانوا يتعرضون للتجار الذين يدخلون بلادهم وينهبون أموالهم ، وكانوا يجلسون في الطرقات ويرتكبون الفواحش الجنسية جهاراً نهاراً ، كما كان عادتهم أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، ولم يرد في القرآن بيان لنوع حضارتهم ؛ لأنها حضارة مقضي عليها بالفناء^(٢) .

التعريف بنبي الله لوط عليه السلام :

هو نبي الله لوط بن هاران بن تارح ، وهاران هذا هو أخو خليل الله إبراهيم عليه السلام ، على هذا هو عم لوط .

(١) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ، ص (٢٤٨ ، ٢٤٩) ، وانظر : مدرسة

الأنبياء عبر وأضواء ، محمد الزين ، ص ٢٤٩ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

"وإنما سمي لوط بهذا الاسم لأن إبراهيم عليه السلام قد أحبه حباً شديداً حتى التاط بقلبه وتعلق به تمام التعلق ، وقد نشأ لوط في أرض بابل بالعراق ، وعاش بها مع عمه إبراهيم الخليل وآمن به واتبعه على دينه" (١) .

وقد أرسله الله تعالى إلى أهل بابل في العراق ، وقد تمثلت دعوته :

١ - التوحيد الخالص :

لقد دعاهم إلى عبادة الله وحده ، فهو كسائر إخوانه الأنبياء والمرسلين لا يطلب على دعوته أجراً من أحد ، وإنما أجرهم على الله ، لقوله تعالى : [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ] {الشعراء: ١٦٠-١٦٤} .

وإنما نسب تكذيبهم للمرسلين مع أن المرسل إليهم نبي واحد هو لوط عليه السلام إشارة إلى أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله منهج واحد ، وأن من كذب نبياً كان كمن كذب جميع المرسلين (٢) .

٢ - ترك الفاحشة :

"ولقد سلك لوط عليه السلام في دعوتهم لتقويم هذا السلوك المنحرف ، وكان ينهاهم عن هذه الخصلة الرذيلة والأخلاق الفاسدة (٣) : [وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأنتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَنتِكُمْ لَأنتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] {العنكبوت: ٢٨-٢٩} .

٣ - أمرهم بالزواج :

لفت أنظارهم إلى العلاقات الجنسية الطاهرة كالزواج ، وقد تمثلت دعوته لقومه في هذا الاتجاه عندما جاءته رسل الله يبلغونه نهاية قومه ، لكن انتشر بين القوم نبأ نزول ضيوف حسان على لوط فأسرعوا إلى بيته وتجمعوا حوله يبعثون الفاحشة مع ضيوفه ، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف العجيب في قوله تعالى : [وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ] {هود: ٧٧} ، [وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ] {هود: ٧٧-٧٨} .

(١) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طباره ، ص ١٤٢ .

(٣) القصص القرآني ، أحمد الكبيسي ، ص ٦٦ .

ويقول أيضاً : [قَالَ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] {الحجر: ٧١} ، "ولم يكن نبي الله لوط يعرض عليهم بناته ليمارسوا معهن الزنا ، وإنما كان يلفت أنظارهم إلى سلوك السبيل السوي في علاقة الرجل بالمرأة ، أن علاقة الزواج خير وأفضل ، ولهذا الغرض وهو غرض الزواج" (١) .

موقف قوم لوط من هذه الدعوة :

لم يكن أمام لوط عليه السلام حيال هذه المضايقات إلا أن يتضرع إلى الله طالباً منه النجاة هو ومن معه من المؤمنين بالله ، فقال ما حكاه القرآن : [قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ] {الشعراء: ١٦٨-١٦٩} .

عقاب الله لقوم لوط :

يقول الله تعالى في بيان ذلك : [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ] {القم: ٣٤} ، ويقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم فخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم ، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام بحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ، ثم قلبها عليها وأرسلها ، وأتبع بحجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال ههنا : [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا] وهي الحجارة ، [إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ] أي : أخرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ، ولا رجل واحد ، حتى ولا امرأته فقد أصابها ما أصاب قومها ، وخرج نبي الله لوط وبناته له سالماً لم يمسه سوء ، ولهذا قال تعالى : [فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ] {الشعراء: ١٧٠-١٧١} (٢) .

للقضاء في اللواط كلمة :

إن جريمة اللواط من أكبر الكبائر ، وهي من الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدين والدنيا ، بل وللحياة نفسها ، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة فحسف الأرض بقوم لوط ، ومطرهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (لعن الله من عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل قوم لوط) (٣) ، (٤) .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ، تحقيق طباره ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ج ١ ، ص ٣١٧ ، حكمه حسن .

(٤) انظر : علم الطب القرآني ، عدنان الشريف ، ص ١٩٩-٢٠١ .

وقد شدد الإسلام في عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها في الفرد والجماعة ، ومع إجماع العلماء على حرمة هذه الجريمة ، وعلى وجوب أخذ مقتربها بالشدة^(١) .

أضرار اللواط الصحية :

فها هو الطب الحديث يكشف لنا بين الفينة والأخرى كارثة من كوارث الشذوذ الجنسي ، وما إن يجد الأطباء علاجاً نافعاً أو عقاراً ناجعاً لمرض من الأمراض ، إلا ويستجد مرض جديد يشغلهم عن المرض السابق ، وصدق الرسول ﷺ حين قال : (لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)^(٢) .

دروس وعبر من هلاك قوم لوط

١- إن اللواط من أقبح وأشنع الفواحش ، فهو يدل على فساد ومرض في المزاج الإنساني ، خطره جسيم على المجتمع الإنساني ، فهو انحدار بالإنسان إلى ما دون الحيوانية البهيمية ، فقوم لوط الذين فشا فيهم اللواط وصفهم القرآن بالعديد من الصفات الذميمة .

* وصفهم بالإسراف : [إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] {الأعراف:٨١} ، أي أنهم أسرفوا في الشهوات ، وفي تجاوز الحدود التي رسمها الله لعباده والمسرفون هم قرناء الشيطان الذين يفسدون مجتمعاتهم .

* وصفهم بالعدوان : [أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ] {الشعراء:١٦٥-١٦٦} ، أي أنهم تعدوا على حدود الشريعة الإلهية ، وتعدوا على قيم الخير .

* وصفهم بالجهل : [أَتَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ] {النمل:٥٥} .

٢- إن الله عاقب قوم لوط بعقوبة تتناسب مع جريمتهم ، فلما كانت أعمالهم لم يسبقوا إليها ، وهي تؤدي إلى التدمير الكامل وانقطاع النسل ، جاءت العقوبة بإبادة القوم جميعاً وتدمير

(١) انظر : فقه السنة ، سيد سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، وانظر : الفقه الجنائي في الإسلام ، أمير عبد العزيز ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، وانظر : الملخص الفقهي ، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان ، ج ١ ، ص ٦٨١ .

(٢) سنن ابن ماجة ، ابن ماجة ، ج ٥ ، ص ٤٩٠ ، صححه الألباني .

القرية بأسرها ، إذ جعل عاليها سافلها ، وأمطر على أهلها حجارة من سجيل منضود ، وإن هذه العقوبة ينبغي إيقاعها بكل ظالم يفعل فعلتهم [وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ] {هود: ٨٣} .

٣- لم يكن المجتمع العربي يعرف جريمة الشذوذ قوم لوط من قبل ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن الله لم ينزل في القرآن قصة قوم لوط لما صدقت بأن أحداً يفعل ما كانوا يفعلون ، وذلك بخروج هذه الفعلة عن فطرة الإنسان .

٤- إن الله سبحانه أنزل حداً في الشذوذ الجنسي لتطهير المجتمع من رجسه وآثامه فقال : [وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ] {الطلاق: ١} ، وكانت نتيجة هذا التعدي أن ظهرت في قوم لوط الأمراض التي لم تكن في أسلافهم ، ورجمهم الله بمرض يقال له (الإيدز أو السيدا) وهو عبارة عن فيروس يدخل إلى الخلايا الليمفاوية التي تدافع عن الجسم إزاء الهجوم الجرثومي الخارجي ، فيدخل المرض إلى الجسم فلا يجد مقاومة ولا ممانعة ويبقى مزمناً حتى الموت .

٥- وفي قصة لوط درس في إكرام الضيف والدفاع عنه بكل وسيلة ممكنة ، فنبى الله لوط تبرز في شخصيته فضيلة إكرام الضيف والدفاع عنه ، والتضحية بأثمن ما يمكن في سبيله ، فهو عندما رأى ضيوفه - وهم من الملائكة - شعر بالمتاعب التي ستأتيه بسببهم ، فقد كان بإمكانه غلق باب منزله في وجوههم ، وتجنب ما يمكن أن يحدث له من مشاكل هو في غنى عنها ، ولكننا نراه بالرغم من ذلك يستقبل ضيوفه ، قال تعالى : [وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ] {هود: ٧٧} (١) .

المطلب السابع : إرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع .

"لقد تمثلت دعوة موسى لفرعون في إرساله بني إسرائيل وتركهم وما يعبدون ، وفي دعوة فرعون وقومه للإيمان بالله الواحد ، وقدم لهذه الدعوة بأنه مرسل من قبل الله ، أنه لا يحق له أن يكذب على الله" (٢) .

يقول الله تعالى : [وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] {الأعراف: ١٠٤-١٠٥} ،

(١) انظر : النكت والعيون ، للماوردي ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ ، وانظر : مع الأنبياء ، عفيف طبارة ، ص ١٤٧ .

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طبارة ، ص ٢٢٨ .

[حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ] : فقال بعضهم : معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أي : جدير بذلك وحريص على ذلك : [قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ] أي : بحجة قاطعة من الله أعطانها دليلاً على صدقي فيما جئتم به ، [فَأَرْسَلُ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] أي : أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم لعبادة ربك وربهم فإنهم من سلالة نبي كريم "إسرائيل" وهو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن (١) .

استغرب فرعون رسالة موسى فشرع يجادله في ربوبية الله ويسأله (ما رب العالمين؟) فقال موسى لفرعون وحاشيته : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم تدركون سر القدرة الإلهية فيهما ، فرد على ذلك فرعون بأن موسى مجنون ؛ لأنه يتكلم في أمور غريبة .

قال فرعون : وما رب العالمين؟ قال : [قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] {الشعراء: ٢٤-٢٨} .

قال فرعون لموسى : الذي قلت : إنك رسوله ، أي : أي شيء هو ؟ ولما لم تكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى ، وإنما يعرفون بصفاته ، أجابه موسى ﷺ ببعضها . [قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] أي : خالق ذلك ، قال فرعون لمن حوله من أشراف قومه : [أَلَا تَسْتَمِعُونَ] جوابه الذي لم يطابق السؤال : [قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ] قال موسى : [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] إنه كذلك ، فأمنوا به وحده (٢) ، ولما رأى موسى وهارون عدم استجابة فرعون لهما حذراه بأن الله أوحى لهما بأن العذاب سيصيب من يرفض دعوتهما .

وإزداد عناد فرعون وطاش صوابه وأمعن في المؤمنين قتلاً وتعذيباً ، واشتكوا من ذلك لموسى فقال لهم : [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] {الأعراف: ١٢٨-١٢٩} .

وطبيعي أن يضح بنو إسرائيل بالشكوى إلى موسى مما أصابهم من الظلم فأوصاهم موسى بالصبر على هذا البلاء النازل والاستعانة بالله ، ووعدهم بحسن العاقبة إن اتقوا ، ولم تنفع فرعون وقومه الموعظة الحسنة من موسى ﷺ ، بل ازداد علواً في الأرض وطغياناً

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٣٦٨ .

وتعذيباً للمؤمنين ، إزاء هذا دعا موسى ربه وأمن على قوله أخوه هارون ، قال موسى :
 [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا
 اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا
 فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] {يونس: ٨٨-٨٩} .

استمر فرعون وأعدائه في اضطهاد موسى والمؤمنين به ، ولكن الله ليس غافلاً عما
 يعمل الظالمون ، فسلط على فرعون وقومه أنواعاً من البلاء ، فقد منع الله المطر
 عن بساتينهم [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] (١)
 {الأعراف: ١٣٠} .

"ولقد أخذناهم بهذا كله لعلمهم يتذكرون ويتعظون ، ذلك أن من سنته تعالى أن يرسل
 الزواجر من المصائب والآفات والنقص في الثمرات تنبيهاً لعل أصحابها ترجع وتنوب ، فإن
 ثابت واهتدت كان الخير ، وإلا فالهلاك المحتوم ، القضاء المعلوم ، وقد كان آل فرعون من
 النوع الأخير ، ومثلهم كل شخص أو أمة لم تنتبه للزواجر ، ولم تتعظ بالحوادث في كل
 زمان إلى يوم القيامة" (٢) .

وهذا أشد أنواع العذاب على فرعون وقومه : [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
 وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ] {الأعراف: ١٣٣-١٣٥} .

قال ابن عباس : إن القوم لما قالوا لموسى : مهما آتيتنا بآية من ربك ، فهي عندنا
 من باب السحر ، ونحن لا نؤمن لها البتة ، وكان موسى ﷺ رجلاً حديداً ، فعند ذلك دعا
 عليهم ، فاستجاب الله له ، فأرسل عليهم الخمسة وهي : الطوفان ، والجراد ، والقمل ،
 والضفادع ، والدم .

أما الطوفان : "فهو المطر الشديد حتى عاموا فيه ، وأما الجراد فأكل النبات ، وأما
 القمل فلم يبق في أرضهم عوداً أخضر إلا أكلته ، وأما الضفادع فخرجت من البحر مثل الليل
 الدامس ووقعت في الثياب والأطعمة ، فكان الرجل منهم يسقط وعلى رأسه ذراع من
 الضفادع ، وأما الدم فجرت أنهارهم دماً ، فلم يقدرُوا على الماء العذب" (٣) .

(١) انظر : مع الأنبياء ، عفيف طباره ، ص ٢٣٧ .

(٢) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، ج ١ ، ص ١٣٨٤ .

(٣) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج ٩ ، ص ٦٥ .

خلاصة الأمم السابقة :

إن الإصرار على الكفر والمعاصي ، وعدم التوبة والإنابة إلى الله ﷻ سبب رئيسي في نزول العذاب بالأمم ، وهلاكها وهو ما لخصه بعض العلماء بقولهم : "ما نزل عذاب إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة" . هذه هي النتيجة التي نخرج بها من خلال هذا المبحث الذي تحدثنا فيه عن أحوال أمم بادت واندثرت وانحدرت بكفرها ومعاصيها ومخالفتها لنصح أنبيائها .

وهذا الذي حل بالأمم الماضية يمكن أن يحل بالأمم اللاحقة ؛ لأن الله لا يحابي أحداً ، فهو ميزان حق لجميع الخلق ، فأیما أمة تكفر بالله وتتكبر على طاعته وتتعالى على اتباع دينه يهلكها الله ويدمرها ويجعل الدائرة تدور عليها ، وإذا أمهل الله أمة من الأمم ، فلم يعذبها ، فهذا لا يعني أن الله غافل عنها ، أو أنه تاركها ، بل إن هذا استدراج لها وإملاء ، لتزداد في طغيانها وانحرافها ، فإذا حلَّ بها عذاب الله ، فإن عقابه أليم شديد ، قال تعالى : [فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبْ هَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ] {القلم:٤٤} .

"أي سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم إليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه من حيث لا يعلمون ، إن ذلك استدراج ؛ لأنهم يظنونهم إنعاماً ولا يفكرون في عاقبته ، وما سيلقون في نهايته "وألمي لهم" أي أمهلهم ليزدادوا إثماً "إن كيدي متين" قوي شديد لا يفوته شيء ، وسمى ﷻ إحصانه كيذاً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد باعتبار عاقبته ، ووصفه بالمتانة لقوة أثره في التسبب للهلاك" (١) .

(١) فتح القدير ، الشوكاني ، ج٣٠ ، ص ٣٤١-٣٤٣ .

الفصل الرابع

إرسال الخبر البشري ونماذجه في القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الخبر وأهميته .

المبحث الثاني : نماذج من إرسال الخبر البشري .

المبحث الأول الخبر وأهميته

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الخبر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : أهمية إرسال الخبر في القرآن .

المبحث الأول الخبر وأهميته

المطلب الأول : تعريف الخبر :

لا يوجد تعريف واحد للخبر ؛ لأن مفهوم الخبر يختلف من عصر إلى عصر ، فالمفهوم السائد للخبر في القرن التاسع عشر غير المفهوم السائد في القرن العشرين ، كذلك فإن مفهوم الخبر في الدول المتقدمة يختلف عن مفهومه في الدول النامية (١) .
الخبر لغة : " ما يُنقل ويحدث به ، قولاً أو كتابة ، وهو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته " (٢) .
والخبر واحد الأخبار ، الخبر بالضم وهو العلم بالشيء ، الخبر العالم وهو ما يحتمل الصدق والكذب (٣) .

الخبر اصطلاحاً : هو الإثارة والخروج عن المألوف ، فعندما يمشي الرجل على قدميه في الشارع ، فهذا ليس خبراً ، ولكن عندما يمشي الرجل على الماء ، فهذا هو الخبر ، وأيضاً الخبر : هو كل ما يخرج من محيط الحياة العادية المألوفة ، ويكون مدار حديث العامة والخاصة .

أو الخبر هو تقرير وقتي عن أي شيء مثير بالنسبة للإنسان ، والخبر هو الذي يثير اهتمام أكبر عدد من القراء (٤) .

المطلب الثاني : أهمية إرسال الخبر في القرآن :

لقد ورد ذكر "النبا" و "الخبر" في عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم فهل يمكن القول إن هناك فارقاً بين النبا والخبر، بحيث يمكن إيجاد تعريف مستقل أو مختلف لكل منهما ؟

لقد أجمعت كثير من المصادر على أن النبا هو الخبر ، وهما مترادفتان .

معنى هذا أن النبا هو "الخبر" الذي تتوافر له شروط :

أ- الفائدة العظيمة لفئة من الفئات ، وهذا يشير إلى الأهمية .

(١) انظر : الخبر ومصادره ، عبد الله زلطة ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٣) انظر : مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ، ص ١٦٨ .

(٤) انظر : فن الخبر الصحفي ، فاروق أبو زيد ، ص ٢٤ ، وانظر : الخبر الإذاعي ، محمد عوض ،

ص ٨ .

ب- يحصل به علم ، أي : يقدم معلومات كاملة عن شيء معين وقع (١) .

وتبرز أهمية الخبر في ضوء ما يلي :

١- الخبر هو الوساطة بين السماء والأرض ، وإرسال الرسل والأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام - فيخبرون عن الله ﷻ ، لقوله تعالى : [نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (٢) {الحجر:٤٩} .

"أي أخبر يا محمد عبادي أنني ذو رحمة وذو عذاب أليم" (٣) ، وقوله : [عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ] {النَّبَأُ: ١-٢} . سورة النبأ نفسها قد سميت بهذا الاسم "النبأ" ؛ لأن فيها إرسال الخبر المهم عن القيامة والبعث والنشور ، تدور حول عقيدة البعث التي طالما أنكرها المشركون . وقال مجاهد : إن المقصود بالنبأ العظيم في هذه الآية هو "القرآن" ، ولكن الإجماع كان على أنه "البعث" (٤) .

وإننا نجد في هذه الآيات المتقدمة تعريفاً واضحاً للخبر، كما جاء في كتاب الله الكريم إنه "الحدث المهم" أو "الخبر المهم" ، ثم نجد فيه كذلك عنصرين من عناصر الخبر وهما "الضخامة" كما يسميها المحدثون ، أو حجم الخبر ، من حيث تأثيره وقوته ، ويكفي أن النبأ هو "القيامة" ، وهل هناك خبر أكبر من هذا ، أو أضخم من هذا ؟ ثم نجد عنصراً آخر من عناصر الخبر وهو "الحجم أو العدد" أي عدد الذين يتأثرون بالخبر ويهمهم أمره ، وهو هنا الناس جميعاً ؛ لأن أمر البعث يشمل الناس جميعاً ، وإن كان الكافرون وحدهم الذين يتساءلون ويشككون .

٢- القرآن حمل لنا أخبار الأولين والآخرين ، من قبل خلق آدم ﷺ إلى قيام الدين ، خلق السموات والأرض ، الملائكة وآدم ، آدم وإبليس ، قصص الأنبياء وأمهم ، قيام الساعة ، الجنة والنار ، دخول الناس فيهما ، خير أهل الجنة ، وخير أهل النار .

ونجد تطبيقاً لذلك في العديد من "أنباء الغيب" كما جاء ذكرهما في القرآن ، وهي من الأخبار التي لم يرَ الرسول - عليه الصلاة والسلام - أحداثها ، ولم يعلم بها من قبل ، حتى أعلمه الله تعالى بوقائعها وتفاصيل ما جرى فيها ، من ذلك العديد من قصص الأنبياء السابقين ، وما واجهوه من صعوبات في نشر الدعوة .

(١) انظر : الخبر الصحفي وتطبيقاته ، محمود هيبه ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٢٦٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٥٧٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

مثل هذه الأخبار لم يكن الرسول ﷺ يعرف عنها الكثير ، ومن ثم نجد الله ﷻ بعد أن يذكر له ما كان من أنباء نوح مع قومه يقول : [تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ] {هود:٤٩} ، أي أن هذه القصة وغيرها من أخبار الأمم السابقة التي لم تشهدها نوحيا إليها ، ونعلمك بها يا محمد بواسطة الوحي ، أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها من قبل هذا القرآن ، فاصبر على أمر الله بتبليغ الدعوة كما صبر نوح ، ومن أنباء الغيب أيضاً ما يذكره الله تعالى للرسول عن قصة امرأة عمران وابنتها مريم البتول وقصة زكريا ، وبعد أن يقصها على رسوله ، يقول له : [ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ] {آل عمران:٤٤} ، أي : إن هذا الذي قصصناه عليك إنما هو من الأنباء المغيبة والأخبار المهمة التي أوحيناها إليك يا محمد وما كنت تعلمها من قبل : [وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ] أي ما كنت عندهم إذ يختصمون ويتنافسون في كفالة مريم حين ألقوا سهامهم للقرعة كل يريد لها في رعايته (١) .

وعلى هذا نجد أن هناك من الأخبار ما وقعت أحداثه في الماضي وكشف عنه النقاب بعد سنوات طويلة ، وهناك أحداث "أخبار" أبلغت في حينها ، ثم هناك أخبار أخرى لم تقع بعد ، ولكن الله تعالى أشار إلى أنها سوف تقع ؛ لأنه (جل شأنه) هو وحده الذي يعلمها ويعلم توقيت وقوعها مستقبلاً ووفق ما حدد لوقوعها ... وذلك ما تشير إليه الآية الكريمة [لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ ...] {الأنعام:٦٧} أي لكل خبر من أخبار الله ﷻ وقت له من غير خلف ولا تأخير ، ومعنى هذا أن النبأ يشمل الماضي والحاضر والمستقبل (٢) .

٣- قصة سليمان ﷺ والهدد ، وأهم معالم إرسال الخبر وطرق التثبت : [فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبِيًّا يَقِينٍ] {النمل:٢٢} ، فلما أخبره بخبره وقص قصته قال سليمان ﷺ : [قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ] {النمل:٢٧} ، ثم سلك المنهج الشرعي في التثبت ، ولقد تميزت هذه الأمة بميزة فقدتها الأمم السابقة ، وهي ميزة وجود المنهج المتكامل الشامل للتثبت من الأخبار ، مما حفظ عليها دينها ، وهو من حفظ الله لهذا الدين إلى يوم القيامة ، وأن التثبت في سماع الأخبار وتمحيصها ونقلها وإذاعتها والبقاء عليها أصل كبير نافع ، أمر الله به رسوله ، قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ

(١) انظر : الخبر الصحفي وتطبيقاته ، محمود منصور هيبية ، ص ٢٦ ، وانظر : تفسير صفوة التفسير ، محمد الصابوني ، ص ٢٠٢ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، ص ٥٥ .

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:٦] .
يأمر تعالى بالثبوت من خبر الفاسق ليحتاط له ؛ لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر
كاذباً أو مخطئاً ، وقد نهى الله ﷻ عن اتباع سبيل المفسدين (١) .

٤- قصة يوسف ، وما فيها من عبر وعظات .

٥- تعدد وسائل الأخبار ، ووسائل الأنباء ، فلم تعد الرسالة أو المشافهة هي الوسائل
الوحيدة، وأصبح المرء في حيرة من أمره ، ما يؤكد هذا ينفية ذلك ، وما يعلنه الأول
يكذبه الثاني ، وهذا له أثره النفسي والعقلي على الفرد والمجتمع .

٦- ومما يعطي الأخبار أهمية خاصة ، غريزة حب الاستطلاع ، والشغف بنقل الأخبار ،
والهيام بالسؤال عن كل جديد .

٧- وأخيراً فإن الإنسان يعيش ويرسم منهج حياته على الخبر ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ،
ويعتمد على خبر (٢) .

وكان المنهج الشرعي في التثبت والتبين عند إرسال الخبر له شروط :

- ١- "عدالة الراوي : وذلك بسلامته من الفسق وخوارم المروءة ، وهذا أمر واضح .
- ٢- ضبط الراوي وإتقانه وقوة حفظه : إن كثيراً ممن يروون الأخبار يغفلون عن هذه
القضية ، ويقال : "ذاك رجل صالح ... وللحديث رجال" ، ويقول الإمام الحسن
البصري (٣) رحمه الله : "المؤمن وقاف حتى يتبين" .
- ٣- حسن الفهم ودقة الاستيعاب للمراد : وهذا يختلف عن الأول والثاني ، فكم من ورع
حافظ لكنه لا يفقه ما يروي وما يحفظ" (٤) .

خلاصة القول فيما سبق :

إذن ، مما سبق يتضح أن الدقة في إرسال الأخبار من الأمور البالغة الأهمية ،
ويعتبر المراسل من أهم وسائل إرسال الخبر التي تحصل من خلالها الصحف على الأنباء ،
ومن وسائل إرسال الخبر أيضاً وكالات الأنباء ، والإذاعات المحلية والأجنبية والنشرات
والمجلات وغير ذلك ، وتبرز أهمية الخبر في القرآن أنه هو الوساطة بين السماء

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٢٣ .

(٢) انظر : موقع المسلم بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١١ م www.almoslim.net

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، إمام البصرة ، حبر زمانه ، كان عالماً حجة ، عابداً
فصيحاً ، توفي سنة ١١٠هـ ، وانظر : شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، وانظر : الطبقات
الكبرى لابن سعد ، ج٧ ، ص ١٥٦ .

(٤) انظر : موقع المسلم بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١١ م www.almoslim.net ..

والأرض ، فإرسال الرسل والأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام - يخبرون عن الله ﷻ بما كلفوا بتبليغه ، ونلاحظ أن القرآن الكريم حمل لنا أخبار الأولين والآخرين من قبل خلق آدم إلى قيام الساعة ، منه قوله تعالى : [لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ...] {الأنعام:٦٧} أي : لكل خبر من أخبار الله ﷻ وقت فيه من غير خلف ولا تأخير ، ومعنى هذا أن إرسال الخبر من الله يشمل الماضي والحاضر والمستقبل ، وتعد قضية الصدق على درجة كبيرة من الأهمية ، والله ﷻ ورسوله ﷺ أمرانا بالتثبت قبل إرسال الخبر ونقله ، لقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] {الحجرات:٦} .

المبحث الثاني

نماذج من إرسال الخبر البشري

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إرسال فرعون .

المطلب الثاني : إرسال سليمان إلى بلقيس .

المطلب الثالث : إرسال بلقيس .

المطلب الرابع : إرسال امرأة العزيز .

المبحث الثاني

نماذج من إرسال الخبر البشري

المطلب الأول : إرسال فرعون :

شاعت إرادة الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات الواضحات على صدق رسالتهم ، والنبى موسى ﷺ أيده الله تعالى بعدد من الآيات التي تعد دليلاً واضحاً على أنه رسول من عند الله ، وفي مقدمة هذه الآيات "العصا" ، و"اليد" : فالعصا كان يلقيها على الأرض فتقلب حية حقيقية ، تهتز ، وتتحرك وتلقي الرعب في قلوب الناظرين ، واليد كان يضمها إلى جيبه ثم يخرجها فتظهر بيضاء متألئة لها بياض حسن ، وبهاء جميل .

فلما ذهب موسى ﷺ إلى فرعون وأمره بعبادة الله تعالى هدده فرعون وقال له : [قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ^(١)] {الشعراء:٢٩} ، قال موسى ﷺ : [قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ] {الشعراء:٣٠} أي : واضح الدلالة على صدق نبوتي ، قال له فرعون : [قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] {الشعراء:٣١} [وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ] {الشعراء:٣٣} ، ونزع يده بأن أخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين ، هنا كشف موسى ﷺ عن معجزتيه الماديتين ، فلما رأى فرعون هذه الآيات البيّنات تكبر واستعظم وقال لملئه : [... إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ] {الشعراء:٣٥} وقد قص القرآن علينا كل ذلك فقال عز من قائل : [فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا نُؤُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] {الشعراء:٣٢-٣٨} .

فلما رأى فرعون وقومه هاتين المعجزتين العظيمتين ، فبدلاً من أن يؤمنوا بالله تعالى اتهموا موسى ﷺ بالسحر ، وقالوا : إن ما جئت به إن هو إلا نوع عظيم من السحر ^(٢) ، [فَمَا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ] {القصص:٣٦} .

(١) لم يقل : "لأسجننك" وإنما قال من المسجونين ؛ لأن سجنه كان أشد من القتل ، وكان فرعون يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً حتى يموت ، أيسر التفاسير ، ج٢ ، ص ٣٧٨ .

(٢) انظر : الحوار القرآني في قصة موسى ﷺ ، تيسير الفتياي ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

في هذه الآية يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه ، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة ، والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله ﷻ من توحيده واتباع أوامره ، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا عن كفرهم إلى العناد ، وذلك لطغيانهم وكبرهم عن اتباع الحق فقالوا : [مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى] أي : مفتعل مصنوع وقوله : [وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ] يقولون : ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين ، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى (١) .

واتفق فرعون وقومه على أن تجري مباراة بين موسى ﷺ والسحرة في يوم عظيم حتى يضع حداً لنهاية الدعوة التي جاء بها موسى ﷺ .

وأرسل فرعون أعوانه من جميع أنحاء مصر ليجلبوا له كبار السحرة من كل مكان ، ولما جاء اليوم الموعود لملاقاة نبي الله موسى ﷺ والسحرة قال السحرة لفرعون هل لنا أجر إن نحن غلبنا موسى وهزمناه وأبطلنا سحره ؟ فجاوبهم وأكد لهم أنهم مأجورون على حرفتهم ، ووعدهم مع الأجر القريب منه ، قال تعالى : [وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] {الأعراف: ١١٣-١١٤} .

وكان ذلك يوم الزينة ، ولعله كان أعظم أعيادهم ، فقال السحرة : يا موسى أتبتدئ أنت بإلقاء " عصاك " أم نكون نحن البادئين ؟ فأجابهم موسى : بل ألقوا أنتم ما عندكم ، فألقوا حبالهم ، عصيهم فامتلاً المكان بالحيات والثعابين ، وخيل إلى موسى والجماهير الحاضرة أنها تسعى ، فخاف الحاضرون من هذا المشهد وأوجس في نفسه خيفة " موسى " ﷺ أيضاً ، فأوحى الله إليه وقال له : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ ، ﴿ أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ فإنها ستبلع كل ما صنعه السحرة ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان عظيم وأخذ الثعبان في ابتلاع جميع ما صنعه السحرة من الحيات والثعابين ، فعندما شاهد السحرة ذلك بأعينهم أدركتهم عناية الله تعالى وأيقنوا أن ما فعله موسى ﷺ صدق ، وأن هذه معجزة له ، قال تعالى : [قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ] {الأعراف: ١١٥-١٢٠} .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .

عن ابن مسعود (التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك ، أتؤمن بي ، وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال الساحر : فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ، ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : [إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] {الأعراف:١٢٣} (١) .

وعلى الفور ، وبدون أي تردد ، أعلن جميع السحرة إيمانهم بالله تعالى ، وقالوا أننا بالله رب العالمين ، وهكذا شاءت إرادة الله أن ينتصر الحق على الباطل ، وأن يظهر الصدق من الكذب ، ولما شاهد فرعون والحاضرون إيمان السحرة ، دب الرعب والفرع في قلب فرعون ، فما كان منه - بدلاً من أي يرجع عن كفره وعناده - إلا أن هدد السحرة بنقطيح أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسيصلبهم على جذوع النخل ووبخهم بقوله : إن موسى ﷺ كبيرهم الذي علمهم السحر ، قال تعالى : [قَالَ فِرْعَوْنُ أَمُنْتُ بِهٖ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ] (٢) {الأعراف:١٢٣-١٢٤} .

ترى الباحثة أن هذا هو منهج الكافرين في كل زمان ومكان ؛ حيث استخدام أساليب البطش والتعذيب من أجل نشر دينهم الباطل ، أو سيطرتهم على أعراض الدنيا سواء كان في عهد فرعون أو من بعده ، أو حتى في زماننا هذا ، فيقومون بأساليب تعذيب فردية أو جماعية مادية أو معنوية ، فيوماً يعيش في قصف ، ويوماً في دمار ، وآخر في قطع راتب ، كل هذا من أجل صرف المؤمنين المجاهدين عن اتباع دين الله والجهاد في سبيل الله ، وفي النهاية ينتصر الحق على الباطل رغم قلة عددهم وعتادهم ، وأعظم تعبير حول ذلك هو قوله تعالى : [ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ] {حمد:٣} .

فلما سمع السحرة تهديد فرعون اشتد إيمانهم بالله تعالى وقالوا معلنين إيمانهم مرة أخرى : لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا : [قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نُنْفِئُ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ] {الأعراف:١٢٦} (٣) .

(١) انظر : جامع البيان ، الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٨٣٥ .

(٢) انظر : منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ، د.محمد محيسن ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

إنّ وهكذا تصنع قوة الإيمان بالله تعالى ، وصدق العقيدة ، فالمؤمن الصادق لا يبالي بالموت ولا يخاف أحداً إلا الله .

ويمكن للدعاة أن يستخلصوا أهم الأمور التي تعينهم في دعوتهم وتحديدهم للباطل :

١- إن الباطل مهما انتفش وسحر عيون الناس واسترهب قلوبهم وخيل للكثيرين أنه غالب وأنه جارف وأنه محق ، ولكنه عندما يواجه الحق فإنه ينطفئ كشعلة الهشيم ؛ لأن الحق راجح الوزن ثابت القواعد .

٢- إن الكلمة الصادقة تلمس القلوب وتتفد إليها^(١) .

خلاصة القول فيما سبق :

إن حوار السحرة و موسى ﷺ ورد في أكثر من سورة في القرآن الكريم ، وطلب الأجر من فرعون إن كانت الغلبة للسحرة ، فيعدهم فرعون بالأجر وبأنهم سيكونون من المقربين عنده ، وبعدها يحاور السحرة موسى بقولهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين فيقول لهم : ألقوا ، فسحروا أعين الناس وجاؤوا بسحر عظيم ، فيوحى الله إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف الإفك ويبطل السحر ، وإذا بالسحرة يعلنون إيمانهم برب العالمين ، فيغضب فرعون ويتهم السحرة بالتآمر ، يهدد ويتوعد بأشد أنواع العذاب ، وينفذ ذلك .

المطلب الثاني : إرسال سليمان إلى بلقيس :

كان عصر سليمان ﷺ كله خوارق ، وأحداث ومعجزات وعجائب ، جنّ تخدم ، رياح تسري ، وطير تتكلم ، ونمل يعترض ، وسحرٌ ، وسحرة ، وجن ، ومردة كفرة ، وإطلاع على أخبار الغائب ، في هذه الهيئة وهذه القوى المسخرة المسيرة ، عاش سليمان ﷺ ، ثم نظر إلى الجيش وأخذ ينفق الغائبين من البشر والحيوانات ، فرأى أن طائراً يسمى " الهدهد " قد غاب من بين الطيور ، ولم يعرف مكانه أحد ، فقال سليمان : لأعذبنه ، أو لأذبحنه ، أو ليحكين عذره وسبب غيابه ، ولم يطل غياب الهدهد ، حتى جاء يحمل خبراً متحدياً سليمان في ملكه هو أن الله ﷻ يهب علماً لمن يشاء ، وقد يتخطى به الأنبياء ، ويمن

(١) انظر : الحوار القرآني في قصة موسى - د. تيسير الفتياي - ص ١٠٥ ، انظر : كتاب قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم - محمد الرازي فخر الدين - ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

به على الطير الخرساء (١) ، ذلك فيما تتضمنه الآية الكريمة التي تقول : [فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] [النمل: ٢٢-٢٦] إن أول ما تجده من عناصر للخبر كما تفهمه من هذه الآية هو العنصر الجديد الذي لم يكن معروفاً من قبل ، فبعد أن غاب الهدد زماناً يسيراً جاء إلى سليمان ليقول له : [أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ] أي : اطلعت على ما لم تطلع به و جنودك ، ولم يسبق لك معرفته من قبل وسوف نعرفه للمرة الأولى ، ألهم الله الهدد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ، ابتلاء له في علمه ، وتنبهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط بما لم يحط به ، ليتصاغر إليه علمه ، وترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء ، إنما قال : " بنياً يقين " حتى يعلم سليمان أنه خبر جدير بالمعرفة والبحث ؛ إذ التخمين لا تتبني عليه أحكام ، ولم يدع الهدد النبأ غامضاً إنما فصله بيناً في قوله من خلال ثلاثة أشياء :

- ١- إن ملكتهم امرأة وهي بلقيس (٢) وكان أبوها من قبلها ملكاً جليل القدر واسع الملك .
- ٢- إنها أوتيت من الثراء وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح وآلات القتال الشيء الكثير الذي لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى .
- ٣- إن لها سريراً عظيماً تجلس عليه ، مرصعاً بالذهب وأنواع اللآلئ والجواهر في قصر كبير رفيع الشأن (٣) .

"وهنا تتضاعف أهمية الخبر ؛ ذلك لأن النتائج المترتبة عليه أصبحت أكثر أهمية وخطورة ، على هذا النحو فإننا نتقدم خطوة أخرى في مجال تعريف الخبر ومفهومه عما سبق أن ذكرناه ، يصير الخبر هو المعلومات الدقيقة الصادقة التي تصف وتشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها لأول مرة" (٤) .

(١) انظر : قصص من القرآن ، محمد زهران ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٢) بلقيس بنت الهدد بن شرحبيل ، من بني يعفر بن سكسك من حمير ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب . كتاب الأعلام ، الزركلي ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٣) انظر : في رحاب التفسير ، م ٤ ، ص ٣٥١١ .

(٤) الخبر الصحفي وتطبيقاته ، محمد منصور هيبه ، ص ٢٣ ، ٤٤ .

وبعد أن بين الهدهد لسليمان شؤون القوم الدنيوية شرع يبين شؤونهم الدينية ، وما هم عليه من مخالفات جسيمة : من الشرك وعبادة غير الله ، فقال [وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ] {النمل: ٢٤} أي وجدتها وقومها في ضلال مبين ، فهم يعبدون الشمس لا رب الشمس وخالق الكون المحيط بكل شيء علماً ، وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم ، فظنوا حسناً ما ليس بالحسن ، وصددهم عن الطريق القويم الذي بعث به الأنبياء والرسل وهو إخلاص السجود والعبادة لله وحده ، ثم فرّع على ذلك القول : " فهم لا يهتدون " وإنما فعل بهم ذلك حتى لا يعرفوا الطريق القويم ، وحتى لا يسلكوا الصراط المستقيم ، ولئلا يسجدوا لله رب العالمين ، الذي يخرج كل شيء مخبوء في السموات والأرض .

ولقد دهشت من عملهم ، وجئت مسرعاً لأخبرك بالذين لا يسجدون لله رب العرش العظيم ، الذي يرزقنا جميعاً ، فلا يستحق العبادة إلا هو ، ولا يجوز السجود إلا لوجهه وحده . وصمت سليمان وهو يسمع كلامه ثم قال : سوف أتحقق من صدقك . قال تعالى : [قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ] {النمل: ٢٧-٣١} ، أي قال : سنختبر مقالك ، ونتعرف حقيقته بالامتحان ، أصادق أنت مما تقول أم أنت من الكاذبين ؟ وهذا شأن الحاكم العادل إذا وصله نبأ عن قوم لا بد أن يثبت ، ومن الخطأ الشنيع أن يصدر الحاكم العادل الأحكام دون أن يتبين ، عندئذ سيخطئ الحساب ويأتي بأوخم العواقب ^(١) .

ثم شرع بفعل يختبره به ، فكتب له كتاباً موجزاً ، وأمره بتبليغه إلى ملكة سبأ فقال : [أذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ] أي : اذهب بهذا الكتاب وأوصله إلى ملكة سبأ وجندها ، وتخصيصه إياه بالرسالة ، دون غيره من أبناء الجن الأقوياء ، لما عاين فيه من العلم ، ولئلا يبقى له عذر أصلاً ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ أي: تتح إلى مكان قريب ، واستمع مراجعة الملكة أهل مملكتها ، وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً ونقاشهم فيه، ونفذ الهدهد أمر ملكه سليمان ﷺ ، وذهب بالرسالة إلى بلقيس ^(٢) .

(١) انظر: صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٢) انظر: في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، م ٤ ، ص ٣٥١٣ ، انظر تفسير المقتطف من عيون التفاسير ، مصطفى المنصوري ، م ٤ ، ١٠٥ .

دخل الهدهد من إحدى النوافذ ، واتجه إلى غرفة الملكة ، وألقى الرسالة على سريرها ولم تشعر هي إلا عندما وقعت عينها على الرسالة ، فقرأتها ، وعرفت أنها وقعت حيال مشكلة كبيرة ، إن هي لم تعالجها بحكمة بالغة .

إن الرسالة تدعوها إلى أن تخضع لسلطان سليمان الحكيم ، الذي تعرف ما سخره الله تعالى له من الجن والإنس والطير ، الريح وبساط الريح ، وبلقيس كانت تعبد - مثلما يعبد قومها - الشمس ، من دون تفكر ولا تبصر ، لكن لها فطرة تحن إلى الحق (١) .

الخلاصة مما سبق :

إن إرسال الخبر قد ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم وله أهمية كبيرة ، وتبرز أهميته أنه كان الوساطة بين السماء والأرض ، وإرسال الأنبياء والرسل ليخبروا عن الله ﷻ للإنسان والجن بشرح الله ، وأن القرآن حمل لنا أخبار الأولين والآخرين ، من قبل خلق آدم ﷺ إلى قيام الساعة ، والجنة والنار ، وأخبرنا عن الأمم السابقة ، منها قصة يوسف ﷻ وما فيها من عبر وعظات ، ذكر لنا حوار السحرة وموسى وفرعون ، فموسى ﷻ يقول للسحرة بأسلوب حوارى بديع : إن ما جاؤوا به هو السحر وأن الله سيبيطله ؛ لأن الله لا يصلح عمل المفسدين وأنه سيحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، وأيضاً أخبرنا القرآن عن قصة سليمان ﷻ والهدهد ، وأهم معالم الخبر وطرق التثبيت ، ونلاحظ أن مثل هذه الأخبار لم يكن الرسول ﷺ يعرف عنها الكثير ، من ثم نجد الله ﷻ يخبر الرسول ﷺ عن الأمم السابقة وما أحل بها .

المطلب الثالث : إرسال بلقيس :

ولما وصلت الرسالة إلى الملكة بلقيس ، فتحتها وقرأت ما فيها ، وإذا بالكلام كلام أنبياء وملوك !! [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ] {النمل: ٢٩} ، قد وصفته بالكرم لكونه من عند ملك كريم .

في هذه الآية إيماء إلى أمور :

- ١ - "سرعة الهدهد في إرسال الكتاب إليهم .
- ٢ - إنه أوتي المعرفة فاستطاع أن يفهم بالسمع كلامهم .
- ٣ - إنها ترجمت ذلك الكتاب فوراً بواسطة ترجمانها .

(١) انظر : قصص الحيوان في القرآن الكريم ، لجنة التحقيق في دار القلم العربي ، ص ١١ .

٤ - إن من آداب رسل الملوك أن يتتخوا قليلاً عن المرسل إليهم بعد إرسال الرسالة ، ليتشاور المرسل إليهم فيها .

فجمعت الملكة وزراءها وأمراءها وكبراء مملكتها من الرجال ، من أجل أن تستشيرهم في هذه الرسالة : ثم بينت مصدر هذا الكتاب وما فيه لخاصيتها وذوي الرأي في مملكتها فقالت : [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ] {النمل: ٣٠-٣١} .

ونص هذا الكتاب يدل على أمور :

- ١- إنه مشتمل على إثبات الإله ووحدانيته وقدرته وكونه رحماناً رحيماً .
- ٢- نهيهم عن اتباع أهوائهم ، ووجوب اتباعهم للحق .
- ٣- أمرهم بالمجيء إليه منقادين خاضعين ، وبهذا يكون الكتاب قد جمع كل ما لا بد منه في الدين والدنيا" (١) .

قوله تعالى : [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ] {النمل: ٣٢-٣٥} ، قالت بلقيس لأشراف قومها : أيها الملأ أشيروا عليّ في أمر هذا الكتاب الذي ألقى إلي ، فقالوا : الأمر والرأي يعود إليك ، ونحن نستطيع الحرب إذا أمرت أن نحارب ، نحن جنودك ، نسمع كلامك ونطيعك ، ورأت الملكة بلقيس في كلام وزرائها ورجالها ميلاً للحرب والقتال فاعترضت على طريقتهم في معالجة هذا الأمر ، وخطأت رأيهم فيه ، ومالت إلى الصلح فإنه خير ، وإن على الإنسان الحكيم أن يواجه هذه الأمور بالحكمة والفتنة ، ففي ذلك خير وأمان (٢) .

[قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ] {النمل: ٣٤} ، أي : إن الملوك إذا دخلوا علينا في أرضنا ، فإنهم سيخربون بيوتنا ، ويهدمون حضارتنا ، ويجعلون أشرافها وأعزتها أذلة ، ذلك شأنهم ومنهجهم على مر الزمان .

(١) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، م ٤ ، ص ٣٥١٣ .

(٢) انظر : جامع البيان ، الطبري ، م ١١ ، ج ١٩ ، ص ١٩٥ ، وانظر : قصص النساء في القرآن ، عبد المنعم الشامي ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

ولقد وضح القرطبي بأنهم أهانوا شرفاءهم لتستقيم لهم الأمور ، فصدق الله قول الملكة بلقيس ؛ حيث إنها لو جاءت سليمان محاربة لاحتاج إلى التخريب والإفساد ، فصدقها الله ﷻ في قوله ، [وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ] ، فهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير ؛ لأنها كانت في بيت الملك القديم ، فسمعت نحو ذلك ، وكلامها دلّ دلالة واضحة على أنها عازفة عن الحرب ومخطئة لطريقها (١) .

وبعدما أبانت ما في الحرب من الخطر ختمت بلقيس حديثها لقومها ، إنني سأرسل لسليمان بهدية غالية الثمن ، وسأنتظر جوابهم على الهدية : [وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ] {النمل: ٣٥} .

إن الملكة بلقيس كانت على حكمة من رأيها ، فهي لم تقبل القتال ولا الحرب لكونها خشيت على ملئها وقومها من الهزيمة ، وإن كانوا كثرة ، وإن كانوا أصحاب القوة والبأس .
وفعلاً أرسلت الملكة بلقيس وفداً محملاً بالهدايا الثمينة إلى سليمان ﷺ ، وانطلق الهدهد إلى ملكه يخبره ، فما كان من سليمان ﷺ إلا أن هياً استقبلاً فريداً للوفد ، يسحر القلوب ، حتى إذا وصل الضيوف ، وجدوا أن هديتهم لا تساوي شيئاً أمام سليمان ﷺ ، وقدموا هدايا ملكتهم بخجل وحياء ، لكن سليمان العظيم ﷺ قال : إن الله قد أعطاني ملكاً كبيراً لم يؤته أحداً من العالمين ، وأنا لا أرضى بالأقوال بديلاً عن الإسلام ، إنكم تفرحون بهديتكم ، ولا تعرفون أن الله يريد منكم الهدى والصلاح .

ونرى أن سليمان ﷺ لن يقبل الهدية بدلاً عن الإسلام ؛ لأن الله ﷻ أمره بدعوة الناس إلى الإسلام ، وعبادة الله الواحد الصمد .

نجد ذلك في قوله تعالى : [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِبَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ] {النمل: ٣٧} ، أي فارجعوا إذن إلى ملكتكم وبلادكم ، وانتظروا حتى نأتيتكم بجنود وجيوش لم تعرفوا مثلها ، تنتشر العدل في أرضكم ، وتخرج من يكفر منكم ، ورجع الوفد مع الهدايا التي أتى بها ، ودخلوا على بلقيس ، وأخبروها بما رأوا ، وما سمعوا ، فقالت : لا بد من الإسلام ، وسليمان أقوى منا وعلينا أن لا نتأخر ، ويجب أن نذهب إليه طائعين مسلمين كما أمر (٢) ، فلما علم سليمان ﷺ بقدمهم قال لمن بين يديه ممن سخر له من

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، م ٧ ، ص ١٣٠ ، وانظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ ، وتفسير الأساس ، سعيد حوى ، ج ٧ ، ص ٤٠١٢ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢١ .

الجان : [قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ] {النمل: ٣٨-٤٠} ، وهكذا أبى سليمان أن يقبل المال ؛ لأنه لا مساومة على دين الله ووحدانيته ، وأصحاب الرسالات لا يرضون الدنيا في دينهم ، وإن المال الذي قدمته بقليس - ملكة سبأ - كانت قد ظننت بتقديمه أنه سيخضع سليمان ويلين من قلبه ويجعله في حالة انعدام توازن من أمره ، وتنتقل القضية بهذا المال من مجال العقيدة إلى المناورة والمساومة على المزيد ، لكن أنبياء الله وصفوا بالصدق والأمانة والتبليغ وصفوا كذلك بالفطنة ؛ لذلك يروى أنه لما رجعت رسلها إليها^(١) ، " وأخبروها بما رد عليهم سليمان قالت : قد علمت والله ما هذا بملك ، ولا لنا به من طاقة ، وبعثت إلى سليمان عليه السلام : إني قادمة إليك بعظماة قومي حتى أنظر ما أمرك ؟ فأراد عليه السلام أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظيم القدرة ، وصدقه في دعوى النبوة ، فقال : [قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ]^(٢) قال سليمان لأشرف من حضره من جنده ، أيكم يأتيني بسريرها - بعرشها - الذي كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب مفصص بالياقوت واللؤلؤ^(٣) .

"قال عفریت من الجن ، أي : مارد : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ أي : بعرشها ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ وقد فصل الأئمة في هذا المقام : فقال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد : مقعدك"^(٤) .

وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، أي قال بعض الصالحين من أتباع سليمان : أنا آتيتك بعرشها قبل تحريك جفنك للنظر إلى شيء ، وهذا غاية في الإسراع ، وفعلاً كان العرش أمام سليمان عليه السلام بعد لحظة ، بإذن الله وقدرته ، وسر سليمان عليه السلام لحضور العرش بهذه السرعة ، وقال : هذا من فضل ربي علي ، ليختبرني أشكر إنعامه وأقوم بحقه أم أكفر وأجدد فضله وإحسانه ، ثم طلب من جنوده أن يغيروا قليلاً في شكل العرش ، حتى تراه الملكة ، ثم يروا ويسمعوا حكمها على العرش بعد وصولها إذا

(١) انظر : قصص القرآن ، محمد علي قطب ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى المنصوري - ج ٤ ، ص ١٨٠ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

(٤) في رحاب التفسير - عبد الحميد كشك ، م ٤ ، ص ٣٥١٦ .

ما رأيته أمامها ، ولما وصلت الملكة مع قومها سألتها سليمان عليه السلام : أهكذا عرشك ؟ ، قال تعالى : [فَكَيْفَ جَاءَتْ قَبِيلَ أَهْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ] {النمل:٤٢} ، فنظرت ! وتحيرت في أمرها وقالت : كأنه هو !! وبقيت تنظر ولا تصدق عينيها .. أهو العرش أم لا ؟ وكيف يكون وقد تركته في بلادها ؟! ، ثم طلب سليمان عليه السلام منها أن تدخل قصرًا من الزجاج ، فظنت أنه مملوء بالماء من شدة صفائه ، فرفعت ثوبها قبل دخولها لكي لا يصيبه الماء ، ولما وجدت أن القصر قد خدعها بجماله وبنائه عرفت الحقيقة ، وما لبثت أن قالت : يا رب .. إني ظلمت نفسي ، وكفرت بالشمس التي عبدتها طويلاً ، وهأنذا أعوذ بك يا رب ، وإني من المسلمين ، فارحمني يا رب واغفر لي وأنت أرحم الراحمين ، لقوله تعالى : [قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] {النمل:٤٤} ، وهكذا أسلمت بلقى طاعة الله لا خوفاً من سليمان عليه السلام (١) .

إذن هذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان عليه السلام ، هذا من أنباء الغيب كما جاء ذكره في القرآن ، وهو من الأخبار التي لم ير الرسول ﷺ أحداثها ولم يعلم بها من قبل حتى أعلمه الله تعالى يوماً تفاصيل ما جرى فيها ، ومن ذلك العديد من قصص الأنبياء السابقين ، وسيظل هذا المشهد من مشاهد معركة الإيمان والكفر عبرة لظالمي أنفسهم ، ليتبينوا أن النصر في النهاية للمؤمنين الذين أسلموا لله رب العالمين (٢) .

المطلب الرابع : إرسال امرأة العزيز :

إن في يوسف عليه السلام وامرأة العزيز لعبرة تتصل بصميم حياة الإنسان على الدوام ، لا تتخلف ولا تنقطع طالما كانت الذكورة والأنوثة ، وطالما كان صراع الخير والشر ، وطالما كان إبليس حياً ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : [وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] {يوسف:٢١} ، إن الذي اشتراه من مصر بثمن بخس دراهم معدودة ، توسم فيه الخير فقال لامرأته : أحسني مقامه ونزله ومعاملته عسى أن ينفعنا ، والنفع لا يتوقف على أمور الخدمة المنزلية وحدها ، وقد يتعداها إلى غيرها ، ثم أضاف : [أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] فهذا هو ذا عليه السلام ينتقل بفضل الله تعالى من ظلمة الجب إلى قصر كبير ، ومقام كريم ، ومثوى طيب .

(١) انظر : قصص القرآن - محمد موفق سليمة - ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) انظر : تيسير القرآن الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١٩ ، ص ٦٦٢ .

لقد علمه الله ﷻ تأويل الأحاديث وهو تعبير الرؤيا ، وليكون التأويل من ثم مادة تقبله وارتقائه وخلصه ، وعنصر نبوته ، وفي منزل الذي اشتراه من مصر بلغ يوسف ﷻ أشده ، فقد ابتاع غلاماً صغيراً ، لم يبلغ الفتوة بعد ، وفي مثنواه الجديد ، في بيت العزيز تدرج نضوجاً واكتمالاً ، بدنناً وعقلاً وروحاً ، ووهبه الله تعالى في تلك المرحلة الحكم والعلم : [وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] {يوسف: ٢٢} ، "آتيناه حكماً وعلماً" يعني النبوة ، إنه حباه بها بين أولئك الأرقام " وكذلك نجزي المحسنين " أي : إنه محسن في عمله عامل بطاعة الله تعالى ، وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده ، فقال مجاهد وقتادة ، ثلاث وثلاثون سنة ، وابن عباس بضع وثلاثون ، ومنهم من قال أربعون سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم (١) : [وَرَأَوْنَاهُ الْيَوْمَ فِي بَيْتِنَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] {يوسف: ٢٣} ، يخبر تعالى في هذه الآية عن امرأة العزيز التي كان يوسف ﷻ في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه ، أي : حاولته على نفسه ودعته إليها ، وذلك أنها أحبته حباً شديداً (٢) لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها "وقالت : هيت لك" فامتنع عن ذلك أشد الامتناع وقال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي" وكانوا يطلقون الرب على السيد الكبير أي أكرمني فما جزاؤه ؟ أن أخونه في أهله ، وإنه لا يفلح الظالمون ، أي الخائنون أو الزناة ، ويحتمل أن يعود الضمير على الله ﷻ والأول أقوى (٣) .

وإزاء الموقف الأبوي الراض من يوسف ﷻ فقدت امرأة العزيز صوابها ، وطاش عقلها ، وصممت على بلوغ الحرام بأية وسيلة وبأي طريق ، واغتتمت فرصة غياب الزوج عن الدار وغلقت أبواب القصر كلها ، وتبدت ليوسف ، ظناً منها أنها أحكمت الخطة والتدبير ، ولم يعد من مجال لهرب أو فرار ، وقالت : "هيت لك" ، قال ﷻ : "معاذ الله" إنه ربي أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون ، من استعاذ بالله صادق القلب واللسان أعاذه ، وهكذا كان يوسف ﷻ ؛ لأنه من عباد الله المخلصين المصطفين ، والظلم والفلاح على طرفي نقيض لا يلتقيان ولا يجتمعان .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٢) انظر : جامع البيان ، الطبري ، م ٧ ، ج ١١ ، ص ١٤٧٨٢ .

(٣) انظر قصص الأنبياء لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - عبد الوهاب النجار - ص ١٢٣ ،

إذن صدق الرسول ﷺ عندما حثنا على عدم الخلوة بين الرجل والمرأة ؛ لأنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

[وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] {يوسف: ٢٤} ، شرح المفسرون - رحمهم الله - شروحات كثيرة ومتشعبة وشطحوا شطحات بعيدة ووقع الكثير منهم في شرك الإسرائيليات ، حتى إن بعضهم صور الموقف بدقائقه وتفصيلاته مطلقاً لخياله العنان ، ولم يلتزموا جانب الأدب الإلهي في الإيجاز القرآني ، وظنوا أن قول الله تعالى : [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ] وقوله : [وَهَمَّ بِهَا] يقتضي التناسق الفعلي والتزامن الحركي ، انطلاقاً من مبدأ بشرية " يوسف " ﷺ ؛ لأن الضعف البشري إزاء المغريات يستسلم ويسترخي ، ويفقد كل قدرة على المقاومة ، وهذا حدث ليوسف ﷺ [لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ] فارتد عما هما به وخلص نجياً .

وكما وقع بعض المفسرين - رحمهم الله - في حبال الإسرائيليات بالنسبة لتصوير واقعة "الهم" من يوسف ولم يكن ذلك كله - والله أعلم - ؛ لأن قول امرأة العزيز بعد هذا ينفية نفيًا قاطعاً ويرده رداً كلياً ، إذ قالت لصويحباتها : [وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] {يوسف: ٣٢} (١) ، قوله تعالى : [لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ] ، الرب هنا سيد البيت أي مربيه ، وهو المشار إليه سابقاً في قوله " إنه ربي أحسن مثواي " والبرهان العلامة والبيان - أي لولا أن رأى علامة ربه ، أي علامة حضوره ومجيئه ؛ لأن الله أشار إلى ذلك بقوله " وألفيا سيدها لدى الباب " فكان ذلك قرينة قاطعة على أن المراد هي العلامة الدالة على حضوره ، وإنما لا نعرف هذه العلامة على وجه التحقيق ، وإنما الذي نعرفه أن لقدم الأمراء إلى بيوتهم علامات تدل عليها ، وقد تكون تلك العلامة رفع راية مثلاً ، أو وجود شخص أمامه ، ويختلف ذلك باختلاف عادات الأمم : [كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ] فقد رنا حضور صاحب البيت في هذا الوقت لنصرف عنه السوء (٢) .

فإن كلام " العزيز " ليوسف ﷺ : (أعرض عن هذا) ولزوجته "استغفري لذنبيك" ما يحيط بهما إطار التكتّم الذي يحتضن الصورة ، بكل خزيها وضعفها وتهافتها .

ولكن ... إلى أي مدى يمكن للتستر أن يكتّم صوت الحقيقة ويقطع أنفاسها ؟ ليس طويلاً ، فهذا مستحيل ، إذ شاع خبر حادثة امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة ، وحكى

(١) انظر : يوسف وامرأة العزيز ، محمد علي قطب ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) انظر : في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، ج ٦ ، ص ١٨٠٠ .

بها بعض نسوة المدينة ، لم يكن في مستوى امرأة العزيز الاجتماعي ، أو دونه قليلاً ، على صلة وثيقة بها ، ويعرفن كثيراً عن أحوالها وخصوصياتها .

كان قولهن : [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] {يوسف: ٣٠} .

"تعني أن المشاعر انتقلت من إدراكها إلى عقلها وإلى قلبها ، والشغاف هو الغشاء الرقيق الذي يستر القلب ، أي : إن الحب تمكن تماماً من قلبها " وهذا الوصف الصادر عنهن هو من قبيل التجريح والغيبة ، [فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرَجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ] {يوسف: ٣١} ، فلما سمعت امرأة العزيز " بمكرهن " وتهجمهن عليها والنيل منها ، وحين وصل إلى امرأة العزيز الخبر ، وكيف يمكرون بها ، أرسلت إليهن^(١) .

"قال المفسرون : فمكرت بهن ، كما مكرن بها ، ودعتهن إلى الطعام في دارها ، وهيات لهن ما يتكئن عليه من كراس وأرائك ، كما هو المعروف في بيوت العظماء ، وكان ذلك في حجرة المائدة ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع بها ما تأكل من لحم وفاكهة : [وَقَالَتْ أُخْرَجْ عَلَيْهِنَّ] {يوسف: ٣١} أي : أمرته بالخروج عليهن ، وفي هذا إيحاء إلى أنه كان في حجرة في داخل حجرة المائدة التي كن فيها ، محجوباً عنهن ، وقد تعمدت ، إتماماً للحيلة والمكر بهن ، أن تفاجئهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه ، علماً منها لما تكون لهذه المفاجأة من الدهشة ، وقد تم لها ما أرادت ، كما يشير إلى ذلك قوله : [فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ]^(٢) .

أي : فخرج عليهن ، فلما رأينه أعظمنه ، وقطعن أيديهن : [وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ] أي قلن : إن هو إلا ملك تمثل في تلك الصورة البديعة التي تدهش الأبصار : [قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ] {يوسف: ٣٢} أي : حينئذ قالت لهن : إذا كان الأمر ما رأيتهن بأعينكن ، وما أكبرتهن في أنفسكن ، وما فعلتن بأيديكن ، ذلك الذي لمتني فيه ، وأسرفتن في لومي وتعنيفي وقتلتن في ما قلتن [وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] {يوسف: ٣٢}

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصة آدم ويوسف ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٢) انظر : زاد الميسر في علم التفسير م ٢ ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، في رحاب الإسلام ، عبد الحميد كشك ، ج ٦ ، ص ١٨٠٦ ، ١٨٧٠ .

أي : ولقد راودته عن نفسه فامتنع عما أرادته منه (١) .

الإمام الفخر الرازي له كلمة قديرة أوردها في تفسيره خلاصتها : إن يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى : [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] {يوسف: ٢٤} وشهد الشيطان ببراءته بقوله : [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] [ص: ٨٢-٨٣} وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز ، إذ قال : [إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ] {يوسف: ٢٤-٢٩} وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن : [مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ] {يوسف: ٥١} وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها : [الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ] (٢) {يوسف: ٥١} .

(١) انظر : سورة يوسف ﷺ ، زهير الحالة ، ص ٢٢ ، ٢٤ .

(٢) انظر : التفسير الكبير - فخر الرازي - ج ١٧ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

الخاتمة والتوصيات

أولاً : الخاتمة :

- وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا ، ويمكن بيانها على النحو التالي :
- ١- اتفق الأنبياء جميعهم في دعوتهم لأقوامهم أن دعواهم إلى توحيد الله سبحانه ، والإخلاص له في عبادته جل وعلا .
 - ٢- يرتبط الإيمان بالرسول والإيمان بالله وبالكتب السماوية التي أنزلت على كل رسول منهم ، والإيمان بأحدهم لا بد وأن يتبعه الإيمان بالآخرين دون تفريق بينهم .
 - ٣- لقد أكرم الله تعالى رسله بالرسالة ، وقد وهب لهم صفات متأصلة فيهم وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة .
 - ٤- إن من أدلة صدق الرسل والأنبياء ، الرسالات ، الحجج والأدلة والبراهين ، والمعجزات ، واستجابة الدعاء .
 - ٥- الإيمان بالملائكة من أركان العقيدة الإسلامية ، ولا يكون الإيمان حقيقياً وصحيحاً إلا إذا آمن الإنسان بهم إيماناً لا يتطرق إليه الشك .
 - ٦- المؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الله ﷻ ، مجملاً ومفصلاً ، لا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه .
 - ٧- الملائكة الذين يحملون العرش يوم القيامة هم أعظم من جبريل من حيث الخلقة ، لكن من حيث الدرجة فجبريل في مقدمتهم .
 - ٨- الملائكة في عبادة دائمة ، وطاعة مطلقة ، وهم معصومون من ارتكاب المعصية متعبدون بالطاعة .
 - ٩- كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكل شيء من القرآن من الريح فهو عذاب .
 - ١٠- من أهم مصادر الرزق إرسال المطر الذي يترجم إلى خيرات كثيرة ، ويكون سبباً للنبات الحسن .
 - ١١- إرسال المطر بحيث يستطيع الإنسان والحيوان والنبات الاستفادة منه ، أمر لا تختص به إلا إرادة الله ﷻ .

- ١٢- إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى الصبر الطويل ، والجو الهادئ ، والصبر الجميل على الافتراءات الكاذبة ، والاتهامات الباطلة ، كما صبر الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم - .
- ١٣- إن جميع الناس سواسية عند الله ، لا فرق بين غني وفقير ، ولا بين قوي وضعيف ، ولا بين ذكر وأنثى ، ولا بين أسود وأبيض ، كذلك أمام تطبيق الأحكام الشرعية .
- ١٤- كانت سفينة نوح أول حديقة حيوان يحافظ فيها على النوع بأمر من الله .
- ١٥- طوفان نوح عليه السلام من أبرز الحوادث التاريخية وأشدّها وقعاً في النفس الإنسانية من حيث إنه من أفسى العقوبات التي عاقب الله بها الكفار ، فيها دليل على قدرة الله وعظمته .
- ١٦- من روائع توجيهات القرآن لبناء أمة متماسكة سليمة هو دعوته إلى الاعتدال في المعيشة ، والنهي عن الإسراف والبطر .
- ١٧- مهما أوتي الإنسان من نعم ، وعاش في خيرات وتمتع بالقوة ، فينبغي أن يعلم أن مصدر ذلك كله هو الله ، مقتضى ذلك العلم أن يؤدي شكر هذه النعم ؛ لأن شكرها يؤدي إلى زيادتها ، كذلك فإن كفر هذه النعم يعرضها للزوال .
- ١٨- عاقب الله قوم لوط بعقوبة تتناسب مع جريمتهم ، فلما كانت أعمالهم لم يسبقوا إليها ، وهي تؤدي بالمجتمع إلى التدمير الكامل ، وانقطاع النسل ، جاءت العقوبة بإبادة القوم جميعاً ، وتدمير القرية بأسرها ، إذا جعل عاليها سافلها .
- ١٩- الإصرار على الكفر والمعاصي وعدم التوبة والإنابة إلى الله عز وجل سبب رئيس في إرسال العذاب بالأمم السابقة وهلاكها .
- ٢٠- القرآن حمل لنا أخبار الأولين والآخرين ، من قبل خلق آدم عليه السلام إلى يوم الدين ، ومثل هذه الأخبار لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفها ، وهذا يبرهن على الإعجاز القرآني .
- ٢١- إرسال الخبر من الله يشمل الماضي والحاضر والمستقبل ، وتعد قضية الصدق على درجة كبيرة من الأهمية ، والله عز وجل ورسوله أمرنا بالثبوت قبل إرسال الخبر ونقله .
- ٢٢- إن قصة سليمان عليه السلام والهدد من أهم معالم إرسال الخبر وطرق الثبوت .
- ٢٣- الولاء لله ورسوله والمؤمنين ، والبراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين ولو كانوا من أولي القربى .
- ٢٤- أهم أسباب النجاة يوم القيامة القلب السليم ، أي الخالص من أي شرك ، وهو المتفرد بمحبة الله سبحانه .
- ٢٥- الهداية من الله عز وجل لمن يريد ، والإضلال من الله لمن رفض الهداية .

ثانياً : التوصيات :

- ١- توصي الباحثة بتحكيم كتاب الله والسنة النبوية المطهرة في جميع أمور الحياة والبعد عن الهوى والجهل في الحكم على الأشياء .
- ٢- توصي الباحثة باتباع نهج الأنبياء والرسل في دعوتهم ، فحري بكل داعية أن يطلع على كيفية دعوتهم - عليهم السلام - والسير على منهجهم .
- ٣- استمرارية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما أمكن من أجل استمرار دين الله ﷻ على الأرض .
- ٤- رفع راية العقيدة والجهاد في وجه اليهود ؛ لأنه الحل الوحيد للتعامل معهم ، وتربية الأجيال المسلمة على المحافظة على الدين والعرض والأرض والكرامة والشرف .
- ٥- تجنب الممارسات التي كانت سبباً في هلاك الأمم السابقة ، وضرورة تصدي المصلحين والتربويين والعلماء لمنع الفساد في المجتمع ، وتكوين الرأي العام المسلم الذي يحرس آداب الأمة وقيمها ويحافظ على شخصيتها .
- ٦- توصي طلاب العلم والدارسين بالخوض في القرآن ، والبحث في آياته ، وكشف آراء الدين ، لاستكمال مشوار العلم، فمعركتنا طويلة مع العدو، مستمرة إلى قيام الساعة .

الفهارس العامة

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم .

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع .

خامساً: فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة		
رقم الصفحة	الآية	م
٨٠	[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ...] {البقرة: ٢٢}	- ١
٥٣	[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ...] {البقرة: ٣٠}	- ٢
١٠١	[فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا ...] {البقرة: ٥٩}	- ٣
١٠٢	[... أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا ...] {البقرة: ٦٧}	- ٤
١٠٢	[... أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى ...] {البقرة: ٨٧}	- ٥
٦١	[وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ...] {البقرة: ٩٦}	- ٦
٥٨	[قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ...] {البقرة: ٩٧}	- ٧
٤٨	[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ ...] {البقرة: ١٢٦}	- ٨
٢٨	[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ...] {البقرة: ١٢٧}	- ٩
٤٨	[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا ...] {البقرة: ١٢٨}	- ١٠
٤٨	[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ...] {البقرة: ١٢٩}	- ١١
٣٩ ، ١٥	[قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ...] {البقرة: ١٣٦}	- ١٢
٢٧	[قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ...] {البقرة: ١٣٩}	- ١٣
٣٤	[وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ...] {البقرة: ١٥٥-١٥٦}	- ١٤
١٤ ، ١٣	[أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...] {البقرة: ٢٤٦}	- ١٥
٧١	[... مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...] {البقرة: ٢٥٥}	- ١٦
١٦ ، ٥١ ، ٥٢	[أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...] {البقرة: ٢٨٥}	- ١٧
سورة آل عمران		
٢٩	[قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ...] {آل عمران: ٣١}	- ١٨
١٢	[إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ...] {آل عمران: ٣٣}	- ١٩

رقم الصفحة	الآية	م
٤١	{آل عمران: ٣٧} [... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ...]	- ٢٠
١١٤	{آل عمران: ٤٤} [... ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ...]	- ٢١
٤٥	{آل عمران: ٨١} [... وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ ...]	- ٢٢
٣٩	{آل عمران: ٨٤} [... قُلْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ...]	- ٢٣
٣٦	{آل عمران: ١١٠} [... كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...]	- ٢٤
٣٤	{آل عمران: ١٢٠} [... وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ ...]	- ٢٥
٦٠	{آل عمران: ١٢٤-١٢٥} [... إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ ...]	- ٢٦
١٠	{آل عمران: ١٦٤} [... لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ...]	- ٢٧
١٥	{آل عمران: ١٨٧} [... وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا ...]	- ٢٨
سورة النساء		
٢٠	{النساء: ١٣} [... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ...]	- ٢٩
٢٣	{النساء: ٤١} [... فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ...]	- ٣٠
٢١	{النساء: ٥٩} [... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ...]	- ٣١
٤٧ ، ٢١	{النساء: ٦٤} [... وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...]	- ٣٢
٤٦	{النساء: ٨٢} [... أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ...]	- ٣٣
٦٧	{النساء: ٩٧} [... إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ...]	- ٣٤
٨٠	{النساء: ١٠٢} [... وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى ...]	- ٣٥
٣٨	{النساء: ١٣٦} [... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...]	- ٣٦
٣٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥١	{النساء: ١٣٦} [... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ ...]	- ٣٧
١٦	{النساء: ١٥٠-١٥٢} [... إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ...]	- ٣٨
٢٢ ، ١٢	{النساء: ١٦٥} [... رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...]	- ٣٩
سورة المائدة		
٣٢	{المائدة: ٣} [... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...]	- ٤٠

رقم الصفحة	الآية	م
١٠١	[{المائدة:٢١} ...]	- ٤١
١٠١	[{المائدة:٢٤} ...]	- ٤٢
١٠٢	[{المائدة:٢٤} ...]	- ٤٣
٢١	[{المائدة:٤٩} ...]	- ٤٤
١٤ ، ١٥ ، ١٩	[{المائدة:٦٧} ...]	- ٤٤
سورة الأنعام		
٣٠	[{الأنعام:٣٣} ...]	- ٤٥
٦٧	[{الأنعام:٦١} ...]	- ٤٦
١١٦ ، ١١٤	[{الأنعام:٦٧} ...]	- ٤٧
٢٩	[{الأنعام:٧٩} ...]	- ٤٨
٢٢	[{الأنعام:٨٣} ...]	- ٤٩
٦٨	[{الأنعام:٩٣} ...]	- ٥٠
٢٧	[{الأنعام:١٦٢} ...]	- ٥٠
سورة الأعراف		
٢٩	[{الأعراف:٢٩} ...]	- ٥١
٧٧	[{الأعراف:٥٧} ...]	- ٥٢
٩٨	[{الأعراف:٦٥} ...]	- ٥٣
٩٢	[{الأعراف:٧١} ...]	- ٥٤
٩٤ ، ٤٥	[{الأعراف:٧٣} ...]	- ٥٤
٩٨ ، ٩٦	[{الأعراف:٧٣} ...]	- ٥٥
٩٥	[{الأعراف:٧٤} ...]	- ٥٦
٩٨	[{الأعراف:٧٥-٧٩} ...]	- ٥٧

رقم الصفحة	الآية	م
٩٧	[قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ...] {الأعراف: ٧٥-٧٩}	- ٥٨
٣٨	[فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي ...] {الأعراف: ٧٩}	- ٥٩
١٠٥	[إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ...] {الأعراف: ٨١}	- ٦٠
٨٠	[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ...] {الأعراف: ٨٤}	- ٦١
٩٨	[وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ...] {الأعراف: ٨٥}	- ٦٢
٣٨	[فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي ...] {الأعراف: ٩٣}	- ٦٢
٦	[وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا ...] {الأعراف: ٩٤}	- ٦٣
١٠٦	[وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...] {الأعراف: ١٠٤-١٠٥}	- ٦٣
١١٩	[وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا ...] {الأعراف: ١١٣-١١٤}	- ٦٤
١١٩	[قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ...] {الأعراف: ١١٥}	- ٦٤
١٢٧	[قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ...] {الأعراف: ١٢٣-١٢٤}	- ٦٥
١٢٠	[... إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ ...] {الأعراف: ١٢٣}	- ٦٦
١٢٠	[قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ...] {الأعراف: ١٢٥-١٢٦}	- ٦٧
١٠٧	[قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ...] {الأعراف: ١٢٨-١٢٩}	- ٦٨
١٠٨	[وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ...] {الأعراف: ١٣٠}	- ٦٩
١٠٨	[فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ ...] {الأعراف: ١٣٣، ١٣٥}	- ٧٠
١٣	[قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ...] {الأعراف: ١٤٤}	- ٧١
٣٢	[... فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ...] {الأعراف: ١٥٨}	- ٧٢
٢٦	[قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ...] {الأعراف: ١٨٨}	- ٧٣
٥٧	[إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ...] {الأعراف: ٢٠٦}	- ٧٤
سورة الأنفال		
٦٠	[إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...] {الأنفال: ٩}	- ٧٥
٦٢	[وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ...] {الأنفال: ١٠}	- ٧٦
٨٣	[إِذْ يُعْشَبُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ...] {الأنفال: ١١}	- ٧٧

رقم الصفحة	الآية	م
٦٣	[إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ...] {الأنفال: ١٢}	-٧٨
سورة التوبة		
٤٠	[أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...] {التوبة: ٧٠}	-٧٩
٥٦	[فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...] {التوبة: ١٢٩}	-٨٠
سورة يونس		
٨٧	[وَانزِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ...] {يونس: ٧١-٧٢}	-٨١
١٠٨	[وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً ...] {يونس: ٨٨-٨٩}	-٨٢
سورة هود		
٨٦	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ] {هود: ٢٥-٢٦}	-٨٣
٨٦	[قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ...] {هود: ٣٢}	-٨٤
٨٧	[وَأَوْحِيْ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ ...] {هود: ٣٦-٣٩}	-٨٥
٨٦ ، ٩١	[... وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] {هود: ٤٠}	-٨٦
٩٠	[... قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ...] {هود: ٤٠}	-٨٧
٨٩	[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ...] {هود: ٤٤}	-٨٨
٩٠	[وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ...] {هود: ٤٥-٤٦}	-٨٩
١١٤	[تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ...] {هود: ٤٩}	-٩٠
٩٤ ، ٩٢	[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ...] {هود: ٥٢}	-٩١
٩١	[وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ...] {هود: ٥٨-٦٠}	-٩٢
٩٤	[وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ...] {هود: ٥٩-٦٠}	-٩٣
٩٧	[فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ...] {هود: ٦٥}	-٩٤
٥٩	[وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ...] {هود: ٦٩ ، ٧١}	-٩٥
١٠٦	[مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ] {هود: ٨٣}	-٩٦
١٠٣	[وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ...] {هود: ٧٨}	-٩٧
٥٩	[قَالُوا يَا لَوْ طِ إِنَّا نُرْسِلُ رَبَّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ...] {هود: ٨١}	-٩٨

رقم الصفحة	الآية	م
٩٦	{... قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...} [هود:٨٤]	-٩٩
سورة يوسف		
١٢٨	{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ...} [يوسف:٢١]	-١٠٠
١٢٩	{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ...} [يوسف:٢٢]	-١٠١
١٢٩	{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ...} [يوسف:٢٣]	-١٠٢
١٣٠	{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ...} [يوسف:٢٤]	-١٠٣
١٣٢	{... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:٢٤]	-١٠٤
١٣٢	{... إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا ...} [يوسف:٢٤-٢٩]	-١٠٥
١٣٠ ، ٢٨	{... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ...} [يوسف:٢٤]	-١٠٦
١٣١	{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ...} [يوسف:٣٠]	-١٠٧
١٣١	{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ...} [يوسف:٣١]	-١٠٨
١٣١	{قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ...} [يوسف:٣٢]	-١٠٩
١٣٠ ، ١٣١	{... وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ...} [يوسف:٣٢]	-١١٠
٤٧	{... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...} [يوسف:٤٠]	-١١١
٣٠	{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ...} [يوسف:٤٦]	-١١٢
١٣٢	{... مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ...} [يوسف:٥١]	-١١٣
١٣٢	{...الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ...} [يوسف:٥١]	-١١٤
سورة الرعد		
٥٤	{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ...} [الرعد:١٣]	-١١٥
٦٦	{يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد:٣٩]	-١١٦
سورة إبراهيم		
٩٤	{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...} [إبراهيم:٧]	-١١٧

سورة الحجر		
م	الآية	رقم الصفحة
١١٨ -	[وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...] {الحجر: ٢٢}	٧٨
١١٩ -	[قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] {الحجر: ٧١}	١٠٤
١٢٠ -	[فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ...] {الحجر: ٧٤}	٧٩
١٢١ -	[... وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ] {الحجر: ٧٤}	٨٠
١٢٢ -	[نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] {الحجر: ٤٩}	١٢٠
سورة النحل		
١٢٣ -	[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ ...] {النحل: ٣٦}	٦
١٢٤ -	[بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ...] {النحل: ٤٤}	٢١
١٢٥ -	[وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ...] {النحل: ٨٩}	١٧
١٢٦ -	[مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ...] {النحل: ٩٧}	٢٠
١٢٧ -	[وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ...] {النحل: ١١٢}	٩٤
١٢٨ -	[... إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ] {النحل: ١١٦}	٤٧
١٢٩ -	[ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...] {النحل: ١٢٥}	٨٩
سورة الإسراء		
١٣٠ -	[سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ...] {الإسراء: ١}	٤١
١٣١ -	[إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...] {الإسراء: ٩}	٤٦ ، ٣٩
١٣٢ -	[قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا ...] {الإسراء: ٨٨}	٤٧
١٣٣ -	[وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ...] {الإسراء: ٩٤}	١٧
١٣٤ -	[قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ...] {الإسراء: ١٠٧}	٣٩
سورة الكهف		
١٣٥ -	[وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...] {الكهف: ٥٦}	٢٠ ، ١٦ ، ٢٣
١٣٦ -	[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ...] {الكهف: ١١٠}	٢٥ ، ١٧

سورة مريم		
رقم الصفحة	الآية	م
٤٨	[{مريم: ٢-٦}] ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا	- ١٣٧
٢٦	[{مريم: ١٢}] يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا	- ١٣٨
٥٤	[{مريم: ١٦، ١٨}] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ ...	- ١٣٩
٣٠	[{مريم: ٤١}] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	- ١٤٠
٢٧ ، ١٥	[{مريم: ٥١}] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ...	- ١٤١
٣١	[{مريم: ٥٤}] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ...	- ١٤٢
٣٠	[{مريم: ٥٦}] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	- ١٤٣
٢	[{مريم: ٨٣}] أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا	- ١٤٤
سورة طه		
٢٢	[{طه: ١٣٤}] وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ...	- ١٤٥
سورة الأنبياء		
٣٠ ، ٢٦	[{الأنبياء: ٧}] وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ...	- ١٤٦
٥٤	[{الأنبياء: ١٩}] وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...	- ١٤٧
٥٧ ، ٥٤	[{الأنبياء: ٢٠}] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ	- ١٤٨
٣٥ ، ١٩ ، ٤٦	[{الأنبياء: ٢٥}] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ...	- ١٤٩
٧١	[{الأنبياء: ٢٨}] ... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ...	- ١٥٠
٢٦	[{الأنبياء: ٥١}] وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ...	- ١٥١
٢٢	[{الأنبياء: ٦٥}] ... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ	- ١٥٢
٤٣	[{الأنبياء: ٦٨}] قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	- ١٥٣
٢٦	[{الأنبياء: ٨٣-٨٤}] وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ...	- ١٥٤
٤٨	[{الأنبياء: ٩٠}] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ...	- ١٥٥
١١	[{الأنبياء: ١٠٧}] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	- ١٥٦

سورة الحج		
م	الآية	رقم الصفحة
١٥٧-	[وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ...] {الحج: ٢٧}	٤٨
١٥٨-	[اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ...] {الحج: ٧٥}	١٨ ، ١٣
سورة المؤمنون		
١٥٩-	[وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ...] {المؤمنون: ١٨}	٨٢
١٦٠-	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...] {المؤمنون: ٢٣}	٦
١٦١-	[ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] {المؤمنون: ٣١}	٩١
١٦٢-	[فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً ...] {المؤمنون: ٤١}	٩٢
١٦٣-	[وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ...] {المؤمنون: ٦٠}	٢٨
١٦٤-	[... وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {المؤمنون: ١٠٠}	٦٧
سورة النور		
١٦٥-	[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...] {النور: ٤١}	٨١
١٦٦-	[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ...] {النور: ٤٣}	٨١
١٦٧-	[... يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ...] {النور: ٤٣}	٨١
١٦٨-	[... فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ...] {النور: ٤٣}	٨١
سورة الفرقان		
١٦٩-	[وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ...] {الفرقان: ٧}	٢٥
١٧٠-	[وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ...] {الفرقان: ٣٧}	٩٠
١٧١-	[وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ...] {الفرقان: ٤٨-٤٩}	٨٠ ، ٧٨
١٧٢-	[... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا] {الفرقان: ٤٨-٤٩}	٨٠
سورة الشعراء		
١٧٣-	[... إِنَّا رُسُلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] {الشعراء: ١٦}	١٣
١٧٤-	[قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...] {الشعراء: ٢٤-٢٨}	١٠٧

رقم الصفحة	الآية	م
١١٨	[قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي ...] {الشعراء: ٢٩}	- ١٧٥
١١٨	[قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ] {الشعراء: ٣٠}	- ١٧٦
١١٨	[قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] {الشعراء: ٣١}	- ١٧٧
١١٨	[فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ] {الشعراء: ٣٢-٣٨}	- ١٧٨
٤٤	[إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ] {الشعراء: ١٠٦-١٠٨}	- ١٧٩
٨٦	[قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] {الشعراء: ١١٦}	- ١٨٠
٨٧ ، ٤٧	[قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ...] {الشعراء: ١١٧-١١٨}	- ١٨١
٨٨	[فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ] {الشعراء: ١١٩-١٢١}	- ١٨٢
٩٤	[أَتَيْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ] {الشعراء: ١٢٨}	- ١٨٣
٩٦	[أَتَتْرَكُونَنِي فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ] {الشعراء: ١٤٦-١٥٢}	- ١٨٤
٤٥	[قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ] {الشعراء: ١٥٣-١٥٤}	- ١٨٥
١٠٣	[كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ] {الشعراء: ١٦٠، ١٦٤}	- ١٨٦
٩٨	[إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ] {الشعراء: ١٦١}	- ١٨٧
١٠٥	[أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ...] {الشعراء: ١٦٥-١٦٦}	- ١٨٨
١٠٤	[قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ] {الشعراء: ١٦٨-١٦٩}	- ١٨٩
٨٠	[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ] {الشعراء: ١٧٣}	- ١٩٠
٥٨	[نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ] {الشعراء: ١٩٣-١٩٤}	- ١٩١
سورة النمل		
١١٤ ، ١٢٢	[فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ ...] {النمل: ٢٢، ٢٦}	- ١٩٢
١٢	[... وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ] {النمل: ٢٢}	- ١٩٣
١٢٣	[وَجَدُوهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...] {النمل: ٢٤}	- ١٩٤
١١٤ ، ١٢٣	[قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصْدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ...] {النمل: ٢٧، ٣١}	- ١٩٥

رقم الصفحة	الآية	م
١٢٤	{النمل: ٢٩} [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ]	- ١٩٦
١٢٥	{النمل: ٣٠، ٣١} [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ ...]	- ١٩٧
١٢٥	{النمل: ٣٢، ٣٥} [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ...]	- ١٩٨
١٢٥	{النمل: ٣٤} [قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ...]	- ١٩٩
١٢٦ ، ٢	{النمل: ٣٥} [وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ]	- ٢٠٠
١٢٧	{النمل: ٣٦} [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ...]	- ٢٠١
١٢٨	{النمل: ٣٨} [قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ...]	- ٢٠٢
١٢٨	{النمل: ٤٢} [فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ...]	- ٢٠٣
١٢٨	{النمل: ٤٤} [... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ...]	- ٢٠٤
٤٥	{النمل: ٤٥} [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ...]	- ٢٠٥
١٠٥	{النمل: ٥٥} [أَتُنْكُمُ اللَّاتُوتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ...]	- ٢٠٦
١٣	{النمل: ٥٩} [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ...]	- ٢٠٧
سورة القصص		
٤٤	{القصص: ٣٢} [... فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ...]	- ٢٠٨
١١٨	{القصص: ٣٦} [فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا ...]	- ٢٠٩
سورة العنكبوت		
٨٦	{العنكبوت: ١٤} [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ ...]	- ٢١٠
١٠٣	{العنكبوت: ٢٨} [وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ ...]	- ٢١١
سورة الروم		
٧٨	{الروم: ٤٦} [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ ...]	- ٢١٢
سورة لقمان		
٨٠	{لقمان: ٣٤} [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ...]	- ٢١٣
سورة السجدة		
٦٦	{السجدة: ١١} [قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ...]	- ٢١٤

رقم الصفحة	الآية	م
٦٩	[وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ...] {السجدة: ٢١}	- ٢١٥
سورة الأحزاب		
٦١	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...] {الأحزاب: ٩}	- ٢١٦
٣٠	[... وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] {الأحزاب: ٢٢}	- ٢١٧
٣٨ ، ١٩	[الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ...] {الأحزاب: ٣٩}	- ٢١٨
١٤	[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] {الأحزاب: ٤٥-٤٦}	- ٢١٩
٣١	[إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...] {الأحزاب: ٧٢}	- ٢٢٠
سورة سبأ		
٧١	[وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ...] {سبأ: ٢٣}	- ٢٢١
٢١	[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...] {سبأ: ٢٨}	- ٢٢٢
سورة فاطر		
٥٣ ، ٥٢ ، ٥٤	[الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...] {فاطر: ١}	- ٢٢٣
٧٩	[وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ...] {فاطر: ٩}	- ٢٢٤
سورة يس		
٨٨	[وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ] {يس: ٤١}	- ٢٢٥
سورة ص		
٢٨	[وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ...] {ص: ٤٥}	- ٢٢٦
١٧	[وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَّهِينَ الْأَخْيَارِ] {ص: ٤٧}	- ٢٢٧
١٣٢	[قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ] {ص: ٨٢-٨٣}	- ٢٢٨
سورة غافر		
٥٧	[الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ...] {غافر: ٧}	- ٢٢٩
٦٩	[فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ ...] {غافر: ٤٥-٤٦}	- ٢٣٠
٧١	[النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ...] {غافر: ٤٦}	- ٢٣١

رقم الصفحة	الآية	م
٢٣	[قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ...] {غافر: ٥٠}	- ٢٣٢
سورة فصلت		
٢٠	[فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ...] {فصلت: ١٣}	- ٢٣٣
٩٢	[فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ...] {فصلت: ١٦}	- ٢٣٤
٩٥	[فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...] {فصلت: ١٥-١٦}	- ٢٣٥
٦٧	[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا ...] {فصلت: ٣٠}	- ٢٣٦
سورة الشورى		
٨٠	[وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ...] {الشورى: ٢٨}	- ٢٣٧
سورة الأحقاف		
٩٢	[تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى ...] {الأحقاف: ٢٥}	- ٢٣٨
٩٢ ، ٨٠	[... بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ] {الأحقاف: ٢٤}	- ٢٣٩
٩٢	[فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ ...] {الأحقاف: ٢٤-٢٥}	- ٢٤٠
٣٥	[فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...] {الأحقاف: ٣٥}	- ٢٤١
سورة محمد		
١٢٠	[ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ...] {محمد: ٣}	- ٢٤٢
سورة الحجرات		
١١٥ ، ١١٦	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ...] {الحجرات: ٦}	- ٢٤٣
٨٩	[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ...] {الحجرات: ١٣}	- ٢٤٤
سورة ق		
٦٥	[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...] {ق: ١٦}	- ٢٤٥
٦٦	[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] {ق: ١٨}	- ٢٤٦
سورة الذاريات		
٩٢	[وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ...] {الذاريات: ٤١، ٤٢}	- ٢٤٧

رقم الصفحة	الآية	م
٩٧	[... فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ] [الذاريات: ٤٤]	- ٢٤٨
سورة النجم		
٣١	[وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ...] [النجم: ٣-٤]	- ٢٤٩
٥٩	[عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ] [النجم: ٥-١٧]	- ٢٥٠
٤١	[أَفْتَارُونَ عَلَيَّ مَا يَبْرِئُ] [النجم: ١٢-١٨]	- ٢٥١
سورة القمر		
٤٢	[اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] [القمر: ١، ٢]	- ٢٥٢
٨٦	[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ...] [القمر: ٩]	- ٢٥٣
٩٠ ، ٨٨	[فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ] [القمر: ١٠-١٣]	- ٢٥٤
٩٠	[وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ] [القمر: ١٣]	- ٢٥٥
٩٣	[إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ] [القمر: ١٩-٢٠]	- ٢٥٦
١٠٤	[إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ] [القمر: ٣٤]	- ٢٥٧
سورة الواقعة		
٢٠	[وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ ...] [الواقعة: ٤١-٤٥]	- ٢٥٨
سورة الحديد		
٨٠	[... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ...] [الحديد: ٢٠]	- ٢٥٩
٩	[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ...] [الحديد: ٢٥]	- ٢٦٠
سورة الصف		
٤٥	[وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ...] [الصف: ٦]	- ٢٦١
سورة الجمعة		
٢١	[هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ...] [الجمعة: ٢]	- ٢٦٢
سورة الطلاق		
١٠٦	[... وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ...] [الطلاق: ١]	- ٢٦٣

سورة التحريم		
م	الآية	رقم الصفحة
٢٦٤-	[... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] {التَّحْرِيم:٦}	٥٤ ، ٥٧
٢٦٥-	[ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ ...] {التَّحْرِيم:١٠}	٩٠
سورة القلم		
٢٦٦-	[فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ...] {القلم:٤٤}	١٠٩
سورة الحاقة		
٢٦٧-	[وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ] {الحاق:٥٦:٦-٨}	٩٣
٢٦٨-	[وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ...] {الحاقَّة:١٧}	٥٦
٢٦٩-	[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ] {الحاقَّة:٤٤-٤٧}	٣٠
سورة المعارج		
٢٧٠-	[تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ...] {المعارج:٤}	٥٣
سورة نوح		
٢٧١-	[يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا] {نوح:١١}	٢
٢٧٢-	[قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا ...] {نوح:٢١}	٢٠
٢٧٣-	[وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ...] {نوح:٢٦-٢٧}	٤٧ ، ٨٧
سورة المدثر		
٢٧٤-	[يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ] {المدثر:١-٢}	١٥
سورة النبأ		
٢٧٥-	[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ] {النبأ:١-٢}	١٢ ، ١١٣
سورة النازعات		
٢٧٦-	[وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ...] {النازعات:١-٢}	٦٧
سورة الانفطار		
٢٧٧-	[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ...] {الانفطار:١٠-١٢}	٥٢ ، ٦٥

سورة عبس		
رقم الصفحة	الآية	م
٢٥	[عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى] [عبس: ١، ١٠]	- ٢٧٨
سورة الفجر		
٩٨ ، ٩٥	[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ] [الفجر: ٦-٧]	- ٢٧٩
سورة البينة		
٢٧	[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...] [البينة: ٥]	- ٢٨٠
سورة الفيل		
٩٨	[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ] [الفيل: ١-٥]	- ٢٨١

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
٥٨	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ...	١-
٣٣	أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون ...	٢-
٧٢	إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة ...	٣-
٦٦	إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها ...	٤-
٥٦	أذن لي أن أحدث عن ملك ...	٥-
٣٠	أرأيتم إن أخبرتمكم ...	٦-
٩٧	ألا أخبركم بأهل النار ...	٧-
٣٠	إن الصدق يهدي إلى البر ...	٨-
٧٠	إن العبد إذا وضع في قبره ...	٩-
٦٨	إن القبر أول منازل الآخرة ...	١٠-
٦٥	إن الملائكة لتضع أجنحتها ...	١١-
٤٢	إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن ...	١٢-
٦٠	أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد ...	١٣-
٦٦	أن صاحب الشمال ليرفع القلم ...	١٤-
٦٥	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ...	١٥-
١٦	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل ...	١٦-
٧٠	إن هذه الأمة تبئلي في ...	١٧-
٣٢	إنما يريد محمد أن يذهب ...	١٨-
٥٢	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...	١٩-
٧٣	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم ...	٢٠-
٥٩	بينما أنا أمشي إذ سمعت ...	٢١-
٥٣	خلقت الملائكة من نور ...	٢٢-
٧١	دخل علي عجوزان من عجائز ...	٢٣-
٥٣	قد رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته ...	٢٤-

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
١٠١	قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً ...	٢٥-
١٨	كان خلقه ...	٢٦-
٦١	كأنني أنظر إلى الغبار ساطعاً ...	٢٧-
٧٣	كيف أنهم وصاحب القرن ...	٢٨-
١٠٤	لعن الله من عمل عمل ...	٢٩-
١٠٥	لم تظهر الفاحشة في قوم ...	٣٠-
٦٠	لما كان يوم بدر ...	٣١-
٩٤	اللهم إنني أسألك خيرها وخير ...	٣٢-
٦٥	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت ...	٣٣-
١٧	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ...	٣٤-
٤٥	ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من آيات ...	٣٥-
٦٩	مر النبي ﷺ بحائط ...	٣٦-
٥٤	من أكل البصل والثوم والكرات ...	٣٧-
٣٦	من رأى منكراً فليغيره بيده ...	٣٨-
٩٣	نصرت بالصبا ...	٣٩-
٥٨	هذا باب من السماء فتح اليوم ...	٤٠-
٦١	هذا جبريل أخذ برأس ...	٤١-
٢٨	وجهت وجهي للذي فطر السموات ...	٤٢-
٥٤	يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ...	٤٣-
٧٢	يتعاقبون فيكم ملائكة ...	٤٤-
٨٨	يدعى نوح يوم القيامة ...	٤٥-

ثالثاً : فهرس الأعلام الذين ترجم لهم

رقم الصفحة	العلم	م
٧٩	ابن مسعود	- ١
٦٦	أبو أمامة بن سهل بن الحارث	- ٢
٥٤	أبو سلمة عمر بن عبد الله أبي سلمة	- ٣
١١	الإمام ابن قيم الجوزية	- ٤
٧٠	أنس بن مالك بن النضر	- ٥
١٢٢	بلقيس	- ٦
٥٦	جابر بن عبد الله	- ٧
١١٥	الحسن البصري	- ٨
٦٧	شارح العقيدة الطحاوية علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي	- ٩
٦٨	عثمان بن عفان	- ١٠
٣٣	عروة ابن الزبير	- ١١
١٠٠	عكرمة	- ١٢
٦٨	علي بن أبي طالب	- ١٣
٨٧	قتادة بن دعامة	- ١٤
٦٧	مجاهد بن جبر المكي	- ١٥
٤٦	النجاشي	- ١٦

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

- ١- ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية ، حافظ بن أحمد آل حكيم .
- ٢- إبراهيم ودعوته في القرآن الكريم ، أحمد الأميري ، دار المنار ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٣- إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس ، دار الفرقان ، ط ١ ، ١٩٩٧م .
- ٤- أخلاق النبي في القرآن والسنة ، أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ، دار العرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٦م .
- ٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد أبو السعود ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ٦- أركان الإيمان ، وهبي سليمان الألباني ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ٧- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، ط ١ ، ١٤٥١هـ-١٩٨٥م .
- ٨- الاستنكار في الأرض ، بحث د. زكريا الزميلي ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .
- ٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- ١٠- الإسلام عقيدة وشريعة ، محمد شلتوت ، دار الشروق ، ط ١١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ١٢- أصول الإيمان ، محمد بن عبد الوهاب ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة السعودية ، ١٤٢٠هـ .
- ١٣- أصول الدين ، الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٣٤٦هـ-١٩٨١م .
- ١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين المختار ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ١٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، زغلول النجار ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٣ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ١٦- إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط ٤ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- ١٧- الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٩٨٩م .
- ١٨- الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طيارة ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- ١٩- أيسر التفاسير ، أبي بكر جابر الجزائري ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
- ٢٠- الإيمان ، ابن تيمية ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٢١- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ، محمد نعيم ياسين ، مكتبة السنة ، ط١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
- ٢٢- الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم ، عبد الله بن زيد آل محمود ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
- ٢٣- الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه ، محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٢٤- الإيمان وأركانه حقيقته ونواقضه ، محمد نعيم ياسين ، مكتبة السنة ، ط١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
- ٢٥- البداية والنهاية ، لابن كثير ، دار أبي حيان ، ط١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- ٢٧- تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، دار السلام ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٤م .
- ٢٨- تبصير المؤمنين بقصة النصر والتمكين في القرآن الكريم ، علي الطلابي ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ٢٩- التحرير الصحفي في عصر المعلومات ، حسني نصر ، دار الكتاب الجامعي ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م .
- ٣٠- التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- ٣١- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام القرطبي ، دار السلام ، ط١ ، ١٤١٧هـ-٢٠٠٦م .
- ٣٢- التربية الجهادية ، د. منير الغضبان ، دار الوفا ، مكتبة المنار ، ط٦ ، ١٤٢٦هـ-١٩٩٢م .

- ٣٣- تعريف عام بدين الإسلام ، علي الطنطاوي ، دار الوفا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- ٣٤- تطهير الأنفاس من حديث الإخلاص ، سيد العفاني ، دار العفاني ، بني سويف ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ٣٥- تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي ، جلال الدين السيوطي ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- ٣٦- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم قطاع الثقافة .
- ٣٧- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط ١٠ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٣٨- تفسير القرآن الكريم ، عبد الله شحاته ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ٣٩- التفسير الكبير ، للإمام الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران .
- ٤٠- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
- ٤١- تفسير المقتطف من عيون التفاسير ، مصطفى المنصوري ، دار السلام ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٤٢- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ .
- ٤٣- تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، ط ١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م دار الفكر المعاصر .
- ٤٤- تفسير النسفي بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
- ٤٥- تقريب التهذيب ، أحمد بن حجر العسقلاني ، ص ٧٩٨ ، الناشر دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- ٤٦- تهذيب التهذيب ، شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٤٧- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ٣٧٠هـ .
- ٤٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

- ٤٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، دار الفكر ، ط ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ٥٠- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٥١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٥٢- حضرات ورد ذكرها في القرآن الكريم ، السنة النبوية ، عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، ط ١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، مكتبة الدار العربية للكتاب .
- ٥٣- الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام ، تيسير الفتياي ، مركز الكتاب الأكاديمي ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .
- ٥٤- الخبر الإذاعي والتليفزيوني ، محمد عوض ، دار الكتاب الحديث ، ط ١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٥٥- الخبر الصحفي ، حسني نصر ، دار الكتاب الجامعي ، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- ٥٦- الخبر وتطبيقاته ، محمد منصور هيبية ، الناشر : مركز الاسكندرية للكتاب .
- ٥٧- الخبر ومصادره ، عبد الله محمد زلطة ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط ١ ، ٢٠٠١م .
- ٥٨- خير القلائد شرح جواهر العقائد ، عثمان العرياني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٥٩- دراسات جديدة في إعجاز القرآن مناهج تطبيقية في "توظيف اللغة" ، عبد المعظم إبراهيم محمد المطعي ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٦٠- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، أحمد جمال العمري ، الشركة الدولية للطباعة ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ٦١- دراسات في العقيدة الإسلامية الإلهيات والنبوات ، أحمد محمد الجلي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ٦٢- دلائل النبوات ، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٩٦م .
- ٦٣- الرحيق المختوم ، صفى الرحمن المباركفوري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٤م .

- ٦٤- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- ٦٥- الروح، ابن قيم الجوزية، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ٦٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، مكتبة المنار الإسلامية، ط١٥، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ٦٧- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ٦٨- سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١ .
- ٦٩- سنن القرآن في الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٧٠- السنن الكبرى، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- ٧١- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م)، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة .
- ٧٢- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م .
- ٧٣- السيرة النبوية، محمد بن أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٧٤- السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- ٧٥- شذرات الذهب، أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت .
- ٧٦- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، المكتب الإسلامي، ط٨، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- ٧٧- شعب الإيمان، أحمد بن الحسن الخراساني، أبو بكر البيهقي، ج٧، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ج١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- ٧٨- شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٧٩- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- ٨٠- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ٨١- صحيح الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ٨٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الفتح الكبير ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ٨٣- صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء الكتب العربي ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
- ٨٤- الصفات الواجبة المستحبة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، طه العفيفي الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
- ٨٥- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار البيان العربي ، ط ٩ .
- ٨٦- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م .
- ٨٧- الطب القرآني الكريم ، عبد الحميد دياب ، مؤسسة علوم القرآن ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ٨٨- طبقات الحفاظ ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
- ٨٩- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٩٠- عذاب القبر ونعيمه ، أبي عبد الله محمد القرطبي ، المكتبة التوفيقية .
- ٩١- عصمة الأنبياء بين اليهود والمسيحية والإسلامية ، محمود ماضي ، مكتبة الإيمان للطبع .
- ٩٢- العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م .
- ٩٣- العقيدة الإسلامية ، عطية محمد عطية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
- ٩٤- العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة ، دار القلم ، ط ٤ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٩٥- العقيدة الإسلامية والأخلاقية ، محمد أحمد مصطفى ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ٩٦- العقيدة الإسلامية والعبادة ، محمد المبارك ، دار الفكر ، ط ٤ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

- ٩٧- عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، الناشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط٤ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ٩٨- عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- ٩٩- العقيدة في صفحات لمن أراد الجنات ، أبو بكر بن محمد بن الخبلي ، دار عماد ، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
- ١٠٠- علم الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، مركز البحوث لجامعة الإيمان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ١٠١- علم الروح ، أحمد حسن الباقوري ، مكتبة مصر .
- ١٠٢- علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ١٠٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الحديث ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ١٠٤- الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، ابن تيمية ، دار الفضيلة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ١٠٥- الفقه الجنائي في الإسلام ، أمير عبد العزيز أستاذ الفقه المقارن بجامعة النجاح الوطنية بنابلس .
- ١٠٦- فقه السنة ، سيد سابق ، دار الفتح للإعلام العربي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
- ١٠٧- فن الخبر الصحفي ، دكتور فاروق أبو زيد ، دار المأمون للطبع والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١م .
- ١٠٨- فن الخبر الصحفي دراسة مقارنة بين الصحف في المجتمعات المتقدمة والنامية ، فاروق أبو زيد ، دار العلم ، ط١٠ .
- ١٠٩- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط١ .
- ١١٠- القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروزآبادي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٠م .
- ١١١- القبر أول منازل الآخرة ، علي عبد العال الطهطاوي ، مكتبة الصفا ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ١١٢- قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم ، الإمام محمد الرازي فخر الدين ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع .
- ١١٣- قصة في القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، النهضة ، مصر .
- ١١٤- قصص الأنبياء ، ابن كثير ، دار الفجر ، القاهرة ، ط١ .

- ١١٥- قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، دار الفكر ، بيروت .
- ١١٦- قصص الأنبياء ، عماد الدين دمشقي ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ١١٧- قصص الأنبياء ، محمد متولي الشعراوي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
- ١١٨- قصص الأنبياء والمرسلين ، لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ١١٩- قصص الحيوان في القرآن الكريم ، لجنة التحقيق في دار القلم العربي ، منشورات دار القلم العربي بحلب ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ١٢٠- قصص القرآن ، محمد علي قطب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ١٢١- قصص القرآن ، محمد موفق سليمة ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، ط ١٥ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- ١٢٢- قصص القرآن ، محمود زهران ، ١٩٧٦م .
- ١٢٣- القصص القرآني ، أحمد الكبيسي ، دار الكتاب الجامعي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م .
- ١٢٤- القصص القرآني ، عبد المنعم الهاشمي ، بيروت ، لبنان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١١ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ١٢٥- القصص القرآني ، منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصة آدم ويوسف ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي .
- ١٢٦- قصص النساء في القرآن ، عبد المنعم الشامي ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ١٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ١٢٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ .
- ١٢٩- لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ١٣٠- المتقين ، القاموس العربي المصور ، جميل أبو نصري ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان .

- ١٣١- مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية ، آيات الرحمن في معركة الفرقان ، بقلم د. عبد الرحمن الجمل ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
- ١٣٢- مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ، دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ١٣٣- مجموع فتاوى ، الشيخ ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ١٣٤- مختار الصحاح ، محمد بن بكر الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٧م .
- ١٣٥- مختصر تفسير ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٣٦- مدارج السالكين ، ابن القيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- ١٣٧- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار ، د. محمد حافظ صالح الشريدة ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- ١٣٨- مسند الإمام أحمد ، الإمام الحافظ أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، بيت الأفكار الدولية ، ١٦٤ ، ٢٤١م .
- ١٣٩- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ١٤٠- مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي الحاج ، إدارة الشؤون الدينية ، قطر ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ١٤١- مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء ، محمود عبد الحميد الأحمد ، دار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
- ١٤٢- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، الحسين بن مسعود القاء البغوي ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- ١٤٣- معجم التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الفضيحة ، ط ١ .
- ١٤٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ١٤٥- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، طبع بالهيئة العامة لشئون الطباعة .
- ١٤٦- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات ، إحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

- ١٤٧- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث .
- ١٤٨- مفتاح دار السعادة ، لابن قيم الجوزية ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٨٦م .
- ١٤٩- الملائكة الأبرار ، عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر ، الأردن ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- ١٥٠- ملخص الفقهي ، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان ، الهيئة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .
- ١٥١- من علم الطب القرآني ، عدنان الشريف ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٩٠م .
- ١٥٢- المنجد في اللغة والإعلام ، منشورات دار الشرق ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط ٣٧ ، ١٩٩٨م .
- ١٥٣- المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ، علي بن أبي العز الحنفي ، ط ٢ ، دار الصحابة ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ١٥٤- المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، خالد فائق العبيدي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ١٥٥- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى ، د. محمد محيسن ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- ١٥٦- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحمن مارديني ، دار المحبة ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- ١٥٧- المياه في القرآن منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية ، أحمد عامر الدليمي ، دار النفائس ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- ١٥٨- النبوات ، لابن تيمية ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٥م .
- ١٥٩- النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ١٦٠- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، أبو الحسن الندوي ، المختار الإسلامية للطباعة ، ط ٤ ، ١٣٩٤هـ-٢٠٠٤م .
- ١٦١- نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، برهان الدين البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- ١٦٢- النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

- ١٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين السعادات المبارك بن محمد الجزري
ابن الأثير ، دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ .
- ١٦٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، ط ١ ، تحقيق : عدنان داوودي .
- ١٦٥- الوحي ودلالاته في القرآن الكريم ، سنار الأعرجي ، الكتب العلمية ، بيروت ،
لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- ١٦٦- الياقوت والمرجان ، عبد اللطيف بن خالد آل موسى ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-
١٩١٧م .
- ١٦٧- يوسف وامرأة العزيز ، محمد علي قطب ، مكتبة القرآن الكريم للطبع والنشر
والتوزيع .

مواقع الإنترنت

- ١- الملتقى الفلسطيني www.upal.net .
- ٢- منتدى الأنثى www.alontha.com .
- ٣- موقع المسلم www.almoslim.net .
- ٤- شبكة فلسطين للحوار www.palds.net .

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	المقدمة
٢	التمهيد الإرسال بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية
٢	أولاً : تعريف الإرسال لغة
٣	ثانياً : تعريف الإرسال اصطلاحاً
٣	ثالثاً : الإرسال ومشتقاتها في السياق القرآني
	الفصل الأول الرسول في ضوء القرآن الكريم
٨	المبحث الأول : أهمية إرسال الرسول
٩	المطلب الأول : الحاجة البشرية إلى الرسول
١١	أسباب الحاجة إلى الرسول
١٢	المطلب الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما
١٢	تعريف النبي لغة
١٢	تعريف النبي شرعاً
١٣	تعريف الرسول لغة
١٣	تعريف الرسول شرعاً
١٣	الفرق بين النبي والرسول
١٦	المطلب الثالث : وجوب الإيمان بالرسول
١٨	الآثار المترتبة على الإيمان بالرسول
١٩	المطلب الرابع : وظائف الرسول ومهامهم
١٩	أولاً : تبليغ الشريعة الربانية للناس
١٩	ثانياً : الدعوة إلى الله
٢٠	ثالثاً : التبشير والإنذار

رقم الصفحة	الموضوع
٢١	رابعاً : معلم البشرية ومربيها
٢١	خامساً : قيادة الأمة وسياستها الدينية والدنيوية
٢٢	سادساً : إقامة الحجة
٢٥	المبحث الثاني : صفات الرسل
٢٥	المطلب الأول : البشرية
٢٦	المطلب الثاني : الصدق والأمانة
٢٦	أولاً : تعريف الصدق
٢٨	ثانياً : تعريف الأمانة
٢٨	ثالثاً : الأمانة ودليل وجوبها للرسل
٣٠	المطلب الثالث : الذكورة
٣٠	المطلب الرابع : الإخلاص
٣٠	أولاً : تعريف الإخلاص لغة
٣١	ثانياً : تعريف الإخلاص اصطلاحاً
٣٣	ثالثاً : منزلة الإخلاص من الأخلاق الإيمانية
٣٣	المطلب الخامس : الصبر على البلاء والإيذاء
٣٥	المطلب السادس : التفاني في الدعوة إلى الله
٣٧	المبحث الثالث : أدلة صدق الرسل
٣٨	المطلب الأول : الرسائل
٤٠	المطلب الثاني : الحجج والأدلة والبراهين
٤٠	من الحجج والأدلة والبراهين على صدق الأنبياء والرسل
٤٠	أولاً : الآيات التي يجريها الله تصديقاً لرسله
٤١	ثانياً : بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين
٤٢	ثالثاً : دعوة الرسل
٤٣	المطلب الثالث : المعجزات
٤٣	تعريف المعجزة لغة
٤٣	تعريف المعجزة اصطلاحاً
٤٤ ، ٤٣	شروط المعجزة

رقم الصفحة	الموضوع
٤٤	الفرق بين المعجزة والكرامة
٤٧	المطلب الرابع : استجابة الدعاء
٧٤-٥١	الفصل الثاني إرسال الملائكة وصفاتهم ووظائفهم
٥١	المبحث الأول : إرسال الملائكة وصفاتهم
٥٢	المطلب الأول : تعريف الملائكة
٥٢	تعريف الملائكة لغة
٥٢	تعريف الملائكة اصطلاحاً
٥٢	المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة
٥٤	المطلب الثالث : صفات الملائكة
٥٦	المبحث الثاني : وظائف الملائكة
٥٧	المطلب الأول : حمل عرش الرحمن
٥٨	المطلب الثاني : التسبيح بحمد الله وتعظيمه
٥٨	المطلب الثالث : الملائكة سفراء الله إلى رسله
٦٠	المطلب الرابع : القتال مع المؤمنين
٦٦	المطلب الخامس : حضور مجالس العلم
٦٦	المطلب السادس : كتابة الحسنات والسيئات
٦٨	المطلب السابع : قبض الأرواح
٦٨	المطلب الثامن : الحساب في القبر
١١٢-٧٥	الفصل الثالث إرسال الرحمة والعذاب
٧٥	المبحث الأول : إرسال الرحمة
٧٦	المطلب الأول : إرسال الرياح
٧٩	المطلب الثاني : إرسال الغيث والمطر
٨٥	المبحث الثاني : إرسال العذاب
٨٦	المطلب الأول : إرسال الماء المنهمر

رقم الصفحة	الموضوع
٨٩	دروس وعبر من هلاك قوم نوح
٩١	المطلب الثاني : إرسال الريح إلى عاد
٩٤	دروس وعبر من هلاك قوم عاد
٩٦	المطلب الثالث : إرسال الصاعقة إلى ثمود
٩٩	المطلب الرابع : إرسال الطير الأبابيل
١٠١	المطلب الخامس : إرسال الرجز
١٠٢	دروس وعبر من إرسال موسى إلى بني إسرائيل
١٠٣	المطلب السادس : إرسال الحاصب
١٠٦	دروس وعبر من هلاك قوم لوط
١٠٨	المطلب السابع : إرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع
١١٣-١٣٩	الفصل الرابع إرسال الخبر البشري ونماذجه في القرآن
١١٣	المبحث الأول : الخبر وسائله وأهميته
١١٤	المطلب الأول : تعريف الخبر وأنواعه
١١٧	المطلب الثاني : وسائل إرسال الخبر
١١٩	المطلب الثالث : أهمية إرسال الخبر في القرآن
١٢٤	المبحث الثاني : نماذج من إرسال الخبر في القرآن
١٢٥	المطلب الأول : إرسال فرعون
١٣١	المطلب الثاني : إرسال سليمان إلى بلقيس
١٣٢	المطلب الثالث : إرسال بلقيس
١٣٦	المطلب الرابع : إرسال امرأة العزيز
١٤٠	الخاتمة
١٤٢	التوصيات
١٤٣	الفهارس العامة
١٤٤	أولاً : فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٠	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
١٦٢	ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
١٦٣	رابعاً : قائمة المصادر والمراجع
١٧٤	خامساً : فهرس الموضوعات
١٧٩	الملخص باللغة العربية
١٨٠	الملخص باللغة الإنجليزية

ملخص البحث

الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ،
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ،
وبعد :

مما لا شك فيه مدى أهمية الإيمان في حياة المسلم ، فهو سر السعادة للبشرية ، وهو
أصل إرسال الرسل عليهم السلام ، وأشرف الناس هم الأنبياء والرسل ، الذين ما تركوا جهداً
في تبليغ دعوة الله إلى أقوامهم ، ولقد كان الرسول محمد ﷺ ممن اصطفاهم الله في الأرض
ليرسل نبياً .

ومن هنا فإن بحثي يأتي في إرسال الرسل والرسالات وإرسال الملائكة ، وإرسال
رحمة الله ، وإرسال الخبر ، وقد قسمت بحثي إلى تمهيدي ، وأربعة فصول أخرى ،
فتمهيدي تناولت فيه تعريف الإرسال لغة واصطلاحاً ، والإرسال ومشتقاته في السياق المدني
والمكي .

أما الفصل الأول فتناولت فيه إرسال الرسل والرسالات ، وفيه ثلاثة مباحث ،
فالمبحث الأول منها تناولت فيه أهمية إرسال الرسل ، وفيه بيان الحاجة البشرية إلى إرسال
الرسل ، وجوب الإيمان بالرسل ، وظائف الرسل ، وأما المبحث الثاني فتناولت فيه صفات
الرسل ، البشرية ، الصدق ، الأمانة ، الإخلاص ، الذكورة ، الصبر على البلاء والإيذاء ،
التفاني في الدعوة إلى الله ، ثم المبحث الثالث ، وتناولت فيه أدلة صدق الرسل من خلال
المعجزات ، استجابة الدعاء ، الرسالات ، الحجج والأدلة والبراهين .

وأما الفصل الثاني فجمعت فيه مبحثين ، الأول عن تعريف الملائكة ، الإيمان
بالملائكة ، صفات الملائكة ، والمبحث الثاني عن وظائف الملائكة .

أما الفصل الثالث ففيه مبحثان ، الأول منهما إرسال الرحمة ، وذكرت فيه إرسال
الرياح ، إرسال المطر والغيث ، وأما المبحث الثاني فكان حول إرسال العذاب ، وتناولت فيه
إرسال الريح على عاد ، إرسال الصاعقة إلى ثمود ، إرسال الحاصب ، إرسال الماء
المنهمر على قوم نوح عليه السلام ، إرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع ، إرسال الطير
الأبابيل على جنود أبرهة الحبشي .

أما الفصل الرابع ففيه مبحثان ، المبحث الأول : الخبر وسائله وأهميته ، والمبحث
الثاني ففيه نماذج من إرسال الخبر البشري ، منها إرسال فرعون في المدائن ، إرسال بلقيس
وسليمان ، إرسال امرأة العزيز والنسوة ، إرسال سليمان إلى بلقيس ، وفي الخاتمة سجلت
أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات .

Summary of Search

Praise be to Allah, much good and blessed, fill the heavens and fill the earth, and fill them, and blessings and peace envoy to the mercy of the worlds, and to his family and him much recognition, and after:

Undoubtedly, the importance of faith in the life of a Muslim, it is the secret of happiness of mankind is to send out messengers of peace, and honest people are the prophets and apostles, who left the effort in communicating the call of Allah to their people, and it was the Prophet Muhammad peace be upon him who Allah chose them in the ground to send a prophet.

Hence, the research comes in the Apostles and send messages, send angels, send Allah mercy, and send news, and the definition of transmission in the language and terminology, and transmission and its derivatives in the context of Madany and Mecca.

The first chapter grabbed the apostles and send messages, in which three sections, speak about the first of which dealt with the importance of sending the Apostles, in which a human need to send the apostles, we must believe in the Messengers, the functions of the Apostles, while the second part, touching on the qualities of the Apostles, humanity, honesty, the secretariat , loyalty, masculinity, patience on the scourge and abuse, dedication to the call to God, and then the third part, dealing with the evidence and truth through the miracles of the Apostles, in response to prayer, messages, arguments and proofs.

The second chapter involves two issues were collected, the first on the definition of the angels, belief in angels, angels recipes, and the second part, on the functions of the angels.

Chapter three presents two issues, I send them mercy, stating that sending wind, rain and rain sent, The second topic was about to send torment, and dealt with the wind to send back, send a bolt to Thamud, send Alhesb, sending water pouring, send a flood and the locusts and lice, frogs, birds send Alobabil.

Chapter five provides a two issues, models of human send news, including Pharaoh sent, send Balqees, send dear woman, send Solomon to Bilqis, and recorded the most important conclusion reached by the findings and recommendations.